نحو تعبير علميٍّ
لرؤى القرآن والحديث

قواعد وفوائد من تعبير رؤى القرآن الكريم والحديث الشريف

جمال حسين عبد الفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: **نحو تعبير علمي لرؤى القرآن والحديث**

وصف الكتاب: قواعد وفوائد من تعبير رؤى القرآن الكريم والحديث الشريف

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية: ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

صدرت الطبعة الأولى عام ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

للاستعلام عن خدمة تعبير الرؤيا والدورات الدراسية في علم التعبير

برجاء زيارة موقعنا

www.jamalhussein.com

مقدمة

الحمد لله العالم بكل حال، الهادي لكل ضال، الموفق لكل منال، المقدر لكل مآل. وصلاة وسلامًا على النبي الهادي لكل حائر، والمرشد لكل سائر، والمقيل لكل عاثر.

أما بعد، فعندما نتحدث عن تعبير علمي لرؤى القرآن والحديث، فهذا يعني أننا نقوم بتعبير تلك الرؤى في هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بناء على معايير علمية معينة تختلف عن تلك التي اتبعها جماهير الأكارم من علماء تفسير القرآن أو شروح الحديث من أهل السُّنَّة والجماعة (رحمهم الله تعالى)؛ أو بمعنى آخر هو منهج في التفسير مختلف عن منهجهم القويم، وليس مخالفا له؛ أو هو نوع من التحليل للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، لا يقتصر فقط على معرفة المعاني التفصيلية أو الأحكام الشرعية أو وقائع التاريخ أو استخلاص العبرة، بل يتعدى ذلك إلى جوانب أخرى من الإعجاز في القرآن الكريم والحديث الشريف.

في هذا الكتاب نتناول جانبًا مضيئًا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم والحديث الشريف، ألا وهو جانب الرؤى وتعبيرها. وكما هو معلوم، فقد ذُكر في القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف الصحيح العديد من الرؤى وتعبيراتها. ولكن ربما لا يكون معلومًا أن أحد الأسس المتينة التي قام عليها علم تعبير الرؤيا في الإسلام هو المقارنة والبحث عن العلاقات بين هذه الرؤى وتعبيراتها من أجل الخروج بقواعد مهمة تعين على تعبير الرؤى الصادقة وفهم معانيها. ومع انكشاف هذه العلاقات واحدة تلو الأخرى، بدأ الغموض الذي أحاط بعلم تعبير الرؤيا لعقود طويلة ينكشف شيئًا فشيئًا حتى أكرمنا الله (عز وجل)، فوضعنا كتابنا الأصولي في علم تعبير الرؤيا: شمس دنيا المنام.

على الرغم من أننا قد تناولنا قواعد وأصول تعبير الرؤيا في كتابنا المذكور بالأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف، إلا أننا لم نبين فيه بشكل مباشر وتفصيليّ العلاقات بين رؤى القرآن والحديث وبين تعبيراتها، أو بمعنى أبسط "لماذا وعلى أي أساس علميّ تم تعبير هذه الرؤيا في القرآن الكريم أو الحديث الشريف؟". وهذا هو السؤال الأساسيّ الذي يحاول هذا الكتاب الإجابة عليه، فيتناول بالتحليل المنطقي والبحث العميق العلاقات أو الارتباطات أو الملابسات الخفية وطبيعتها بين الآية الكريمة أو الحديث الشريف وبين تعبير كل منهما.

لا أستبعد أن يسرع أحد المتحمسين بالقول: إن الأساس الذي عبِّرت عليه هذه الرؤى في القرآن الكريم والحديث الشريف هو الوحي، ففيم البحث إذا وعمَّ؟ فيكون الرد بكل بساطة: وهل يتعارض التعبير عن طريق الوحي مع أن تكون لهذه التعابير أسباب علمية مفهومة يمكن البحث عنها واستكشافها؟ وبالمثل، هل يتعارض كون الأحكام الشرعية موحى بها من الله (تعالى)، مع أن تكون لها حِكَم

وأسباب علمية يكتشفها العلماء ويبينوها للناس؟

إن اكتشاف جوانب الإعجاز في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ومحاولة استكشاف تعبيرات علمية لها لا يتعارض مع كونها وحيًا معصومًا ما دام هذا التعبير العلمي لا يناقض ثابتا من ثوابت الدين المعلومة، بل يزيدها دعمًا وتأيـيدًا.

وهكذا قمنا بتقسيم الكتاب إلى قسمين: واحد يتعلق برؤى القرآن الكريم، بينما يختص الآخر برؤى الحديث الشريف.

سنتناول في هذا الكتاب - بمشيئة الله تعالى - كل رؤيا على حدة، نشرح سياقها ومعناها، ونحاول أن نستخلص منها الفوائد الخفية في علم تعبير الرؤيا؛ لتكون هذه الفوائد بمثابة الضوء الذي ينير لنا الطريق الصحيح لتعبير المزيد من الرؤى الغامضة.

وبما أنه ليس الهدف من هذا الكتاب حصر جميع رؤى القرآن الكريم والحديث الشريف، بل إن الهدف منه هو التأصيل لمنهج علمي معين. فبالتالي، لم يتناول البحث جميع رؤى القرآن الكريم والحديث الشريف، بل تناول نماذج أو عينات منها مع التوسع في شرحها والتعمق في بيان جوانب من الإعجاز فيها.

أخيرًا، أسأل الله (عز وجل) أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين، وأن يجعله (سبحانه) خطوة على طريق اكتشاف المزيد من أسرار الرؤى وعلم تعبيرها. آمين

رؤى القرآن الكريم

إبراهيم الخليل يُصدِّق الرؤيا

يقول الله (عز وجل): ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْـمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)**﴾ [سورة الصافات].

رأى إبراهيم (عليه السلام) في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل (عليه السلام)، فعبَّره على أنه أمر من الله (عز وجل) بأن يفعل ذلك في الواقع، أو أن يُصدِّق هذه الرؤيا. وهو الابتلاء الإلهي العظيم، والأمر الإلهي لهما (عليهما السلام)، والذي امتثلا له، فرفع الله (تعالى) عنهما البلاء، وفدى إسماعيل (عليه السلام) بذبح عظيم جزاء لتقواهما وصبرهما.

ومن خلال هذه الرؤيا نناقش مدى إلزام الرائي بتصديق رؤياه في الواقع كما رآها في المنام، أو بمعنى آخر: هل يجب على الرائي أن ينفذ ما رآه في المنام كما رآه في الواقع كما فعل إبراهيم مع ابنه إسماعيل (عليهما السلام)؟ فمثلا: إذا رأى مسلم في المنام أنه يتصدَّق على فقير يعرفه، أو يتزوج من امرأة يعرفها، أو يسافر إلى بلد، هل يجب عليه تصديق هذه الرؤيا، أو تنفيذ ما رآه فيها في الواقع بأن يتصدق على الفقير الذي رآه في المنام، أو يتزوج من المرأة التي رآها في المنام، أو يسافر إلى البلد الذي رآه في المنام؟

جاء في الأثر الصحيح عن عبيد بن عمير أن **رؤيا الأنبياء وحي**؛ لقول الله (تعالى): ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْـمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...**﴾، وقد ورد مثل هذا الكلام أيضًا عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما).

وقولهم إن رؤيا الأنبياء وحي، ثم استدلالهم بالآية الكريمة يحتمل أكثر من معنى:

أولًا: إن الرؤى التي يراها الأنبياء تكون جميعها أو بعضها أوامر إلهية واجبة التنفيذ كما حدث مع إبراهيم (عليه السلام) في الرؤيا المذكورة.

ونحن لا ننكر أن بعض رؤى الأنبياء يمكن أن تكون أمرًا مباشرًا يجب على النبي تصديقه أو تحقيقه في الواقع كما رآه. ولكن ذلك لا يمكن تعميمه على جميع رؤى الأنبياء، بدليل أن النبي ﷺ قد رأى رؤى عديدة، ومع ذلك فلم تكن أوامر مباشرة له بفعل شيء، ولا كانت واجبة التصديق كما رآها.

وبالتالي، فالقول بأن رؤيا الأنبياء وحي، لا يمكن أن تعني أن جميعها أوامر مباشرة واجبة التصديق.

ثانيا: إن الرؤى التي يراها الأنبياء صادقة، بمعنى أنها تكون من الله (تعالى)، وتكون ذات معانٍ، فلا يدخل فيها حديث النفس أو الشيطان. وهذا هو الأقرب إلى الصواب، والأولى بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).

وهكذا، ليس معنى أن رؤى الأنبياء جميعها صادقة، أنها يجب أن تكون كلها أوامر إلهية مباشرة لهم، أو أنهم يجب عليهم تنفيذها كما رأوها، بل ربما لا يعدو هذا الأمر كونه استثناء كما في رؤيا إبراهيم (عليه السلام).

أما بخصوص رؤيا المسلم العادي، فيختلف حكم تصديقها من راءٍ لآخر ومن رؤيا لأخرى، وقد ينطوي على شروط ومحاذير مهمة. فربما يكون تصديق المسلم لرؤياه كما رآها واجبًا أحيانًا، ومستحبًا أحيانًا، ومكروهًا أحيانًا، وحرامًا أحيانًا.

والقاعدة الأساسية في ذلك هو أنه لا يجوز تصديق المسلم لرؤيا بارتكاب عمل حرام، كرؤيا المسلم لنفسه في المنام يقتل، أو يسرق، أو يشرب خمرًا، أو غير ذلك من

الأمور التي حرمها الله. فلا يجوز للمسلم أن يقوم بتنفيذ ما رآه في هذه الرؤى وأمثالها؛ لأن الرؤيا ليست حَكَمًا على الشرع، فلا يجوز من خلالها تحليل حرامًا.

يجب على المسلم تصديق الرؤيا التي رأى نفسه فيها يقوم بواجب شرعي لا يقوم به في الواقع، أو يتوب من حرام يفعله في الواقع، كرؤيا من لا يصلي لنفسه في المنام أنه يصلي، أو رؤيا شارب الخمر لنفسه أنه قد تاب من ذلك، ففي هذه الحالة يكون تصديق الرؤيا واجبًا، وتكون بمثابة الرؤيا التحذيرية لمن يراها.

الرؤيا التي يقوم فيها الرائي بمعروف غير واجب، وهو يقدر على عمله في اليقظة، كأن يرى نفسه في المنام يتصدق على مسكين يعرفه، أو أن يرى نفسه يسأل عن أحوال صديق قديم من أصدقاء الخير، فتصديق مثل هذه الرؤى مستحب، لكنه غير مُلزِم، وليَزِن الرائي الأمر بميزان المصالح والمنافع، والمفاسد والأضرار، واليسر والعسر في أمثال هذه الأمور قبل الإقدام عليها.

الرؤيا التي فيها تقييد لأمر مباح أو نهي عنه، يُنظر في وجوب تصديقها بحسب المصالح والمفاسد، كمسلم أراد أن يتزوج من امرأة نصرانية، فرأى نفسه في المنام أنه لا يتزوجها، فليُعِد النظر في مسألة زواجه منها، لعل الضرر منه يكون أكبر من المنفعة؛ أو كرؤيا مسلم لنفسه يمتنع عن طعام حلال، فلينظر إن كان في هذا الطعام مشكلة له، كأن يتسبب له في ضرر صحي لعضو مريض في جسده مثلًا.

الرؤيا التي يقوم فيها الرائي بعمل حلال قد تترتب عليه أضرار أو مشاكل، كرؤيا المسلم لنفسه يطلِّق زوجته أو يتزوج بغيرها، أو رؤيا نفسه يدخل في عمل مؤذٍ أو فيه مخاطرة، فلا يجب على المسلم هنا تصديق الرؤيا التي قد تجلب عليه وعلى غيره الأذى أو الضرر، إلا إذا كان الرائي قد عزم على ذلك فعلًا، ولديه من الأسباب المهمة والمعتبرة والإمكانيات الواقعية التي تجعله يقدم على هذا العمل وهو مُرضٍ لله

(تعالى) ومرتاح الضمير.

الرؤيا التي في تصديقها مشقة أو أمر لا يطيقه الرائي، كأن يرى نفسه يحج وهو غير مستطيع، أو يشتري ما لا يقدر على شرائه في الواقع إلا بالكاد، فهنا لا يُنصح الرائي بتصديق رؤياه، وليدعُ الله بأن يذلل له أسباب الخير وأن يصرف عنه أسباب الشر.

وقد جاء في الأثر الصحيح ما قد يدل على أن تصديق الرؤى مستحب عمومًا في أعمال الخير والمعروف. فقد روي أن خزيمة بن ثابت رأى – فيما يرى النائم – أنه سجد على جبهة النبي ﷺ، فأخبره، فاضطجع له ﷺ، وقال: «**صدِّق رؤياك**». فسجد على جبهته الشريفة. (صحيح – تخريج مشكاة المصابيح).

الشمس والقمر والكواكب رموز لأسرة يوسف الصدِّيق

يقول الله (عز وجل): ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]. وكذلك يقول الله (تعالى): ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾ [يوسف:١٠٠].

رأى يوسف (عليه السلام) وهو صغير أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، فتحققت بعدها بسنوات طويلة بأن سجد له والداه وإخوته (على سبيل التحية وليس العبادة، وكان ذلك مباحًا في شريعتهم، وليس في شريعة الإسلام).

هذه الرؤيا هي مثال للرؤى التي تحتوي على رموز يكون ظاهرها مختلفًا عن معناها الحقيقي المقصود بها. وفيها دليل على أن هذه الرؤى قد تُرى بشكل ظاهري مختلف تمامًا عما يُقصد بها من معنى فعليٍّ متحقق في الواقع. وقد تأتي كذلك في هذه الرؤى أمور تتحقق كما رآها المسلم مثل السجود في هذه الرؤيا، وقد تحقق كما جاء في الرؤيا فعلًا، ولم يكن رمزًا.

فالشمس والقمر في الرؤيا كانا رمزين للأم والأب، بينما كان الأحد عشر كوكبًا رموزًا للإخوة.

وقد اختلف العلماء في كون الشمس رمزًا للأب أو الأم، وكذلك القمر، فقيل إن الشمس رمز للأب والقمر رمز للأم؛ لأن الشمس أكبر وأعظم كالأب له القوامة على الأم. وقال آخرون إن الشمس رمز للأم والقمر رمز للأب؛ لأن الشمس كلمة مؤنثة بينما القمر كلمة مذكَّرة. ولعل الاستنتاج الأخير يكون أقرب للصواب؛ لهذا

السبب الأخير، ولأن الشمس تمدُّ الدنيا بالدفء والرحمة كالأم لأولادها، بينما ينير القمر ظلمة الليل، فيهتدي به الناس ويعرفون طريقهم بضوئه، كما يهدي الأب أولاده إلى الخير ويبين لهم طريق الصواب. وكذلك، فقد روي أن أبي بكر (رضي الله عنه) قد عبّر رؤيا عائشة (رضي الله عنها) للأقمار بأنهم رجال.[1]

وربما جاءت الكواكب لترمز إلى الإخوة؛ لأن فضل الشمس والقمر على سائر الكواكب هو كفضل الأب والأم على الأولاد. فالشمس دفء ورحمة للكواكب، والقمر هداية ونور، كما الأم والأب لأولادهما.

من خلال هذا الارتباط بين هذه الرموز وما تدل عليه خرجت قاعدة مهمة في تعبير الرموز، وهي قاعدة: «**التشابه في الوظيفة**»، أي وجود وجه شبه واحد أو أكثر بين الوظيفة التي يؤديها الرمز الذي جاء في الرؤيا، وبين ما يدل عليه في الواقع، كما لاحظنا وجه التشابه بين الأم والأب والإخوة من جهة، والشمس والقمر والكواكب من جهة أخرى.

ومن أمثلة هذه القاعدة: التشابه في الوظيفة بين قدمي الإنسان وإطارات السيارة، فهذه يمشي فوقها الإنسان، وهذه تتحرك فوقها السيارة. وكذلك التشابه في الوظيفة بين فم الإنسان والمذياع، كلاهما يخرج منه الكلام. وأيضًا التشابه في الوظيفة بين الأسنان والمطحنة، كلاهما يفتت الطعام.

---

(١) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: رأَيْتُ كأنَّ ثلاثةَ أقمارٍ سقَطْنَ في حِجْري. فقال أبو بكرٍ: إن صدَقَتْ رؤياكِ، دُفِن في بيتِك خيرُ أهلِ الأرضِ ثلاثةٌ. فلمَّا مات رسولُ اللهِ ﷺ، قال لها أبو بكرٍ: خيرُ أقمارِك يا عائشةُ. ودُفِن في بيتِها أبو بكرٍ وعمرُ. (مجمع الزوائد)

يظهر لدينا كذلك دور اللغة العربية في تعبير الرؤى عندما يكون القمر رمزًا للأب؛ لأن القمر مذكر، بينما تكون الشمس رمزًا للأم؛ لأن الشمس مؤنثة.

وممَّا يُلفت النظر أيضًا هو عدد الكواكب (أحد عشر) الذي يتطابق مع عدد إخوة يوسف. فهذه نقطة يمكن أن تساعد معبِّر الرؤيا على فهم قاعدة تعينه على تعبير الأرقام في الرؤى. ومن ضمن ذلك أن يبحث المعبِّر عن عدد لشيء مهم في حياة الرائي ينطبق على رقم رآه في منامه، كامرأة تزوجت من ثلاثة رجال ترى الرقم ثلاثة في رؤياها، أو طالب قضى أربع سنوات في الجامعة رأى الرقم أربعة، أو شخص يمتلك عشرة فدادين من الأرض الزراعية رأى الرقم عشرة، أو شخص مسلم محافظ على الصلوات الخمس رأى الرقم خمسة.

أما قول الله (تعالى): ﴿**هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...**﴾، فهو تأكيد على أن تعبير الرؤيا ليس ضمانًا لتحققها على ما عبِّرت به، إنما هو اجتهاد، والله (عز وجل) وحده هو الذي يملك تحقيقها من عدمه. وبالتالي، من الجيد أن ينصح المعبِّر الرائي بعد أن يعبِّر له رؤياه بالابتهال والدعاء إلى الله (تعالى) حتى تتحقق البشرى.

بشرى النعيم والعذاب في رؤيا صاحبي السجن

يقول الله (عز وجل): ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْـمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)**﴾ [سورة يوسف].

هاتان الرؤييان لرجلين سجينين، كانا زميلين ليوسف (عليه السلام) في أثناء السنوات التي قضاها في السجن. رأى أحدهما أنه يعصر ثمرًا مما يُصنع منه الخمر كالعنب أو نحوه، ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطيور منه.

يظهر بقوة في هذه الرؤيا دعوة يوسف (عليه السلام) لصاحبيه لعبادة الله الواحد الأحد. وتأتي هذه الدعوة كمقدمة لتعبير الرؤيا، أو كما جاء في قول الله (تعالى) على لسانه: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْـحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

وتعد الدعوة إلى الله (تعالى) أهم الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها تعبير الرؤيا. فإن هذه الرؤى لا تدور في فراغ، وليس تعبيرها هدفًا في ذاته. وإنما تندرج كلها تحت غاية واحدة، وهي تعريف الناس بربهم (سبحانه)، وتقريبهم إليه (عز وجل)، كلٌّ بحسب حاله، فالمسلم غير الكافر، والعاصي غير الطائع، والصالح غير الفاسد.

وهنا استثمر يوسف (عليه السلام) سؤال الرجلين الكافرين له عن رؤياهما، وقدم لتعبيره بتعريف بالله (عز وجل)، وإظهار نعمة الله (تعالى) عليه، وربطها بأنه قد ترك ملة الكفر، وبيان ما هما عليه من الباطل. ولهذا فإنه من المستحب للمعبِّر المسلم الذي يتعامل مع رؤى الكفار أن يجعل تعبيره للرؤيا مدخلًا لتعريفهم بالله (سبحانه وتعالى) وبالإسلام، فهذا هو الهدف المنشود أصلًا، وإلا فما هي الفائدة من فك رموز رؤيا لشخص كافر، إلا تضييع الأوقات؟

وهنا أيضًا يظهر ارتباط تعبير الرؤيا بالعقيدة الإسلامية، وأن تعبير الرؤيا عمل ديني يتطلب أن يقوم به شخص عالم بالدين كما يظهر ذلك في حديث يوسف (عليه السلام) مع الفتيين قبل تعبيره للرؤيا. فتعبير الرؤيا عمل دعوي جادٌّ، لا ينبغي أن يقوم به الجهال أو العابثين أو غير الصالحين.

أما عن الرؤيا الأولى التي رأى فيها الفتى أنه يعصر الخمر، والتي عبَّرها له يوسف (عليه السلام) بأنه سيعود إلى عمله السابق كساقٍ للملك، ففي هذه الرؤيا تظهر أهمية معرفة المعبِّر بأحوال الرائي، فيظهر هنا أن يوسف (عليه السلام) كان يعلم أن هذا السائل كان يعمل كساقٍ للملك، وأن عمله مرتبط بعصر الخمر، وهذا سبب لتعبير الرؤيا على أن الرجل سيعود لعمله؛ لأن ما رآه في الرؤيا هو مجال عمله.

وهكذا، فإن معرفة المعبِّر بأحوال الرائي وظروفه هي جزء أساسي من تعبير الرؤيا؛ لأن المعبِّر دائما ما يربط بين ما يكون عليه الرائي في الواقع وبين رموز الرؤيا. وهذا

من أهم الأصول في عملية تعبير الرؤيا. ولهذا نقول: الرؤيا بغير راءٍ معلوم ليس لها تعبير مفهوم.

ونستنتج من الرؤيا الأولى أيضًا جواز تعبير رؤى الكفار على خير الدنيا ونعيمها. فيجوز أن تُعبَّر رؤيا الكافر بالمال والولد والصحة والعمر الطويل، لاسيَّما إذا كانت هناك مصلحة شرعية في ذلك كأن يرجى إسلامه، أو تقليل شر أو فساد ما، أو نحو ذلك مما يجلب المصالح ويدرأ المفاسد، بشرط أن يكون هذا الخير الذي عُبِّرت عليه الرؤيا مما يحتمله تعبيرها أصلًا بحسب قواعد تعبير الرؤيا، وليس تعبيرًا مُتكلَّفًا لا أساس له.

أما الرؤيا الثانية التي رأى فيها صاحبها أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، فعبَّرها له يوسف (عليه السلام) بأنه سوف يصلب فتأكل الطير من رأسه. فربما جاء هذا التعبير من التشابه بين سُنبلة القمح المنتصبة التي تحمل فوق رأسها حبوب القمح، فإذا أكلت منها الطيور أفسدتها، بالرجل الذي يحمل فوق رأسه خبزًا، فتأكل الطيور منه.

فسُنبلة القمح تنتصب في الأرض الخلاء كما ينتصب المصلوب فوق صليبه في الخلاء، وسنبلة القمح تحمل فوق رأسها حبوبًا تصنع منها الخبز، كما رأى الشخص نفسه يحمل فوق رأسه خبزًا، والطيور تأكل من حبوب القمح فوق السُنبلة (رأس السنبلة) فتفسدها، وكذلك الشخص رأى الطير تأكل من الخبز فوق رأسه، فكانت الرؤيا بشرى بهلاكه وأكل الطير من رأسه هو (والعياذ بالله تعالى).

وهذه تسمى بقاعدة «التشابه في الشكل» في تعبير الرؤيا، كالتشابه بين المصلوب المنتصب وسنبلة القمح المنتصبة، وقطع الخبز وحبَّات القمح، ... وهكذا كما تقدم.

ولعل يوسف (عليه السلام) قد علم بحال هذا الرائي، وأنه مرتكب لجريمة أو ينتظر عقوبة أو نحو ذلك.

نستنتج أيضًا من هذه الرؤيا جواز تعبير رؤى الكفار على الشرِّ والأذى والعقوبة في الدنيا دون أي بشرى لهم.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذين الرؤيين هما من الرؤى التي تأتي فيها أشياء صريحة غير رمزية تارة، وتأتي فيها رموز تارة أخرى. فعصر الخمر هذا حقيقي، وليس رمزًا لشيء غيره، وقد عبَّره يوسف (عليه السلام) كما هو، وأما حمل الخبز وأكل الطير منه، فيظهر فيه هنا اختلاط الحقيقي بالرمز، فعبَّر يوسف (عليه السلام) بعضه على غير ما يظهر وبعضه الآخر على ما يظهر.

أما قوله (عليه السلام) في نهاية الرؤيا: ﴿...**قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾، ففي تعبيره خلاف بين العلماء. فبينما قال كثيرون منهم إن معناه أن تعبير الرؤيا واقع لا محالة قدرًا مقدورًا، وإن في هذا دليل على أن التعبير الأول للرؤيا هو الذي يتحقق؛ قال آخرون إن معناه ليس كذلك، بل هو إخبار منه (عليه السلام) لهما بأنه قد انتهى من إجابة سؤالهما.

وقال قسم ثالث من العلماء إن ما جاء من تعبير الرؤيا واقع بالفعل ومقدَّر، وإن هذه العبارة تدل على ذلك، لكن يوسف (عليه السلام) تيقن من ذلك عن طريق الوحي، وليس الرؤيا. وبالتالي، فليس التعبير الأول للرؤيا هو الذي يتحقق بالضرورة. والله (تعالى) أعلم.

نؤكد هنا أيضا على أنه ينبغي على معبِّر الرؤيا أن يكون مثالًا يحتذى به للعلم والأخلاق الكريمة حتى يقبل عليه الناس، ويطمئنوا له كما قال الفتيان ليوسف (عليه السلام): ﴿...**نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

ركائز الاقتصاد القومي في رؤيا ملك مصر

يقول الله (عز وجل): ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾ [سورة يوسف].

هذه الرؤيا رآها أحد ملوك مصر القديمة في عصر الهكسوس. وقد رأى في منامه سبع بقرات سمينة يأكلهن سبع بقرات هزيلة، وسبع سنابل قمح خضراء، وسبع سنابل أخرى جافة، فسأل عنها حاشيته والمحيطين به، فأخبروه بأنها أحلام غير منتظمة أو غير متناسقة، وأنهم لا يعرفون لهذا النوع من الأحلام تعبيرًا، ثم عبَّرها لهم يوسف (عليه السلام) بواسطة ساقي الملك (زميل يوسف السابق في السجن، والذي عبَّر له يوسف رؤيا بشرته بأنه سيخرج من السجن، ويعود لعمله كساقٍ للملك، وقد تحققت فعلًا).

وقد عبَّر يوسف (عليه السلام) هذه الرؤيا بأن البلاد سوف تمر بسبع سنوات من خصوبة الزراعة كما هو معتاد، ثم تأتي بعد ذلك سبع سنوات أخرى تصاب فيها البلاد بالجدب، وأن عليهم أن يدَّخروا من محصول القمح في سنوات الرخاء تحسُّبًا

لسنوات الشدة، وألا يستهلكوا إلا القليل الضروري لطعامهم فقط، ثم بشرهم بعد هذه السنوات الصعبة بسنة يأتيهم فيها المطر والرخاء، ويعصرون فيها الثمار كالعنب أو الزيتون.

في هذه الرؤيا دليل على أن الاهتمام بالرؤيا لا يقتصر على الأمم التي تعبد الله (تعالى)، بل تمتد إلى الأمم الوثنية أيضًا. وكذلك فيها دليل على أن الاهتمام بالرؤى لا يقتصر على عامة الناس، بل يمتد إلى خاصتهم أيضًا.

وتعد هذه الرؤيا من الرؤى التي تتناول الشأن العام للدولة، والذي يتعلق بحياة عامة الناس. وهو نوع من الرؤى غير شائع، فأكثر الرؤى يتناول عادة الأمور الخاصة والشخصية لرائيها، ولا يتطرق غالبا إلى الشؤون العامة.

ويثار هنا سؤال عند بعض الأشخاص الذين يرون رؤى يظهر في شكلها أنها تتعلق بالشأن العام، وهو: هل يتعلق تعبيرها بالشأن العام فعلًا؟ أم أنها تختص بأحوالهم الشخصية؟ ومن أمثلة هذا النوع من الرؤى: أن يرى المسلم مَلِكًا، أو رئيسًا، أو شخصًا ذا منصب، أو بعض الهيئات والمؤسسات الحكومية. ونقول هنا: إن الأصل في الرؤى أنها تتعلق بالأحوال الشخصية والخاصة لصاحبها، ولو كان ظاهر رموزها يتعلق بشخصيات أو جهات عامة. ومع ذلك فقد يرى المسلم رؤى تتعلق بالشأن العام في بعض الأحوال إن كان من المشتغلين أو المهتمين به كالسياسيين والمعارضين والمراقبين والمحللين ونحوهم، أو كان الشأن العام يؤثر فيه وفي حياته الخاصة تأثيرًا قويًا مباشرًا كسجين سياسي يرى في المنام ما يدل على أن الحكومة ستتغير، وأنه سيتم الإفراج عنه بناء على ذلك، أو كرجل أعمال يرى ما يدل على حدوث تغيرات اقتصادية مهمة ستؤثر على أعماله وتجارته، أو أن يراها شخص عادي في وقت تحدث فيه تغيرات كبيرة ومهمة في أحوال البلد تؤثر على عموم

الناس. وبما أن ملك مصر هو رائي الرؤيا، فيتقوى هنا احتمال أن تدل على شأن عام.

يظهر في الآيات الكريمة تعبير «أضغاث الأحلام». وقد نُقل في تفاسير القرآن الكريم عن غير واحد من أهل العلم إن أضغاث الأحلام هي الرؤى الكاذبة؛ أي التي لا معنى لها، أو التي تكون من الشيطان أو حديث النفس. ونُقل عن آخرين إنها أخلاط الأحلام؛ أي الرؤيا التي تجمع بين أشياء لا ترتبط ببعضها في تسلسل مفهوم. فمثلا: إذا رأى النائم أنه دخل بيتًا، فاستقبله أهل البيت استقبالًا حسنًا، ثم دعوه إلى الطعام، فأكل، ثم شكرهم، ثم خرج من البيت، فهذه رؤيا تتابع أحداثها بشكل متسلسل؛ أي يؤدي وقوع حدث فيها إلى وقوع حدث آخر يترتب عليه. أما الحلم المختلط، فهو الذي يتكون من مجموعة أحداث لا ترتبط ببعضها بهذا التسلسل المنطقي. فمثلا: إذا رأى النائم أنه يطير في الفضاء، ثم يعوم في الماء، ثم يحفر في الأرض، ثم يتحول إلى حيوان، ثم إلى طائر، فهذه رؤيا مختلطة لا يوجد ارتباط بين أحداثها.

ولعل من ذهبوا إلى أن أضغاث الأحلام هي الرؤى الكاذبة قد قالوا ذلك؛ لأن الاختلاط في الرؤيا هي صفة غالبة على الرؤى التي تكون من النفس أو الشيطان؛ إذ أنهما أضعف من أن يقدرا على إحداث رؤى متناسقة ومتماسكة وتحمل الخصوصية التي تتمتع بها الرؤيا الصادقة غالبًا.

ومع ذلك، فليس بالضرورة أن تكون جميع الرؤى الصادقة ذات ترتيب وتسلسل متناسق، فقد يكون بعضها ذو شكل مختلط، ولا يؤثر ذلك على أن يكون لها تعبير، ومن أمثلتها رؤيا ملك مصر، فالسبع بقرات السمان والسبع العجاف لا يوجد بينهما وبين السبع سنبلات الخضر والسبع اليابسات تسلسل أو ترتيب واضح.

وبالمثل، فقد تتشابه بعض الرؤى الكاذبة مع الرؤى الصادقة في الشكل وتكون

ذات تسلسل منطقي، ومنها الرؤيا التي حكاها الأعرابي للنبي ﷺ، قال: يا رسول الله! رأيت في المنام كأن رأسي ضُرِب، فتدحرج، فاشتددت على أثره. فقال رسول الله ﷺ للأعرابي «**لا تُحدِّث الناس بتلعُّب الشيطان بك في منامك**» (رواه مسلم).

ولا شك أن تعبير الرؤيا ذات التسلسل المنطقي أسهل في كثير من الأحيان من تعبير الرؤيا المختلطة - إن صدقت -؛ لأن معبِّر الرؤيا يعتمد في العديد من الرؤى على العلاقات بين الرموز ليستخلص منها معنى، وإن لم يعرف لرموزها معنى. فمثلا: إذا رأى المسلم نفسه يعوم في بحر شديد، ثم جاءت سفينة والتقطته، فليس بالضرورة أن يعرف تعبير رمزي البحر أو السفينة، ولكن من الممكن أن يستنتج من تسلسل الرؤيا أن معناها نجاته من موقف عصيب، فإذا فُقِد هذا التسلسل، فربما يصبح التعبير أصعب.

والخلاصة: إن الأصل في الرؤى الكاذبة أنها تكون أضغاثا أو مختلطة، ولا مانع من أن تأتي الرؤيا صادقة مختلطة أحيانًا، أو أن تأتي الرؤيا كاذبة متسلسلة أحيانًا أخرى.

من الملاحظ أيضًا ارتباط الرموز في الرؤيا بأدوات البيئة الاقتصادية في هذا العصر، والتي كانت تعتمد في الأساس على القمح والثروة الحيوانية وعصر الثمار. وفي ذلك إشارة إلى أن محتوى الرؤى كثيرًا ما يكون مرتبطًا ببيئة الرائي، وما يعرفه، وما يألفه.

أما عن تعبير الرؤيا، فربما تدل البقرة كرمز هنا على مكان تخزين القمح (الشُّوْنَة)؛ لأنها مخزن للحليب الذي يأخذ منه الناس بقدر حاجتهم كما يفعلون مع مخزن القمح، ونقول هنا إن البقرة رمز لمخزن القمح، وليس غيره من الحبوب؛ لظهور سنابل القمح في الرؤيا. فهكذا يعتمد تعبير رموز الرؤيا ومحتوياتها على بعضها، فيتكاملون فيما بينهم، وهذا من أهم ما يستعين به المعبِّر في تعبيره للرؤيا، فيستعين بمعنى رمز من رموز الرؤيا لتعبير رمز آخر من رموزها، فتشدّ هذه الرموز بعضها بعضًا، وتقوِّي

بعضها بعضًا، وتسير كلها في اتجاه متقارب. فمثلا: رجل مطلِّق رأى أنه يصلي الجمعة مع طليقته، فربما يدل ذلك على اجتماعه معها (الاجتماع من لفظ الجمعة)، فيتكامل معنى الجمعة ويتناسب مع رؤيا الرجل لطليقته المنفصلة عنه في المنام، ولا يحتمل غالبًا أن تدل صلاة الجمعة هنا على معنى بعيد عن الرموز الأخرى في هذه الرؤيا كأن تدل على العبادات أو الصلاة.

وتظهر في التعبير السابق لرؤيا الملك قاعدة «التشابه في الوظيفة» في تعبير الرؤيا، فهناك تشابه بين البقرة كمخزن للحليب وبين مخزن القمح، فدلَّت البقرة في الرؤيا على مخزن القمح.

وهكذا، فالبقرة السمينة هي رمز لمخزن ممتلئ بالقمح، والبقرة الهزيلة هي مخزن فارغ أو يكاد. وأكل البقرة الهزيلة للبقرة السمينة هو انتقال محتوى مخزن قمح ممتلئ إلى محتوى مخزن فارغ. فما هو السبب في انتقال محتوى هذا الممتلئ إلى ذاك الفارغ؟ نجيب عن هذا السؤال من السنبلة الخضراء والسنبلة اليابسة، فتدل السنبلة الخضراء على وفرة ورخاء في محصول القمح، بينما تدل السنبلة اليابسة على ندرة وجفاف في محصول القمح.

وهكذا تدل الرؤيا على فترة من الوفرة في محصول القمح وكمياته المخزونة يتم استهلاكها في فترة أخرى فيها ندرة في محصول القمح. ولكن كم هي هذه الفترة؟ يوجد لدينا في الرؤيا الرقم سبعة، تتكرر البقرات السمان سبع مرات، والعجاف سبع مرات، وتتكرر السنبلات الخضر سبع مرات، واليابسات سبع مرات، وبالتالي يمكن أن يدل ذلك على الزمن الذي يتكرر على شكل دورات أو مواسم كما تتكرر هذه الرموز أو المشاهد في الرؤيا سبع مرات، ومقياس الزمن في زراعة القمح هو الموسم الزراعي، ومدته سنة، فيكون الرقم سبعة رمزًا لسبع سنين.

ويثار هنا سؤال: لماذا جاءت بعض محتويات الرؤيا رموزًا تدل على غيرها (البقرات)، وبعضها الآخر مباشرًا يدل على نفسه (القمح)؟ وفي الحقيقة، فإن الرؤيا التي تجمع بين المحتوى الرمزي والمباشر هي من أقوى الرؤى في الدلالة، فالرؤيا التي تحتوي كلها على رموز تتعدد احتمالاتها، وقد يعسر على المفسر تحديد المعنى المقصود بدقة، أما الرؤى التي تكون كلها مباشرة، فقد تتشابه مع أحاديث النفس، ويتطرق الشك الكثير إلى صدقها. أما الرؤى التي تجمع بين المباشر والرمزي، فهي أيسر على المفسر، ويعين المباشر فيها على تفسير الرمزي، والعكس.

وسؤال آخر: كيف يمكن تحديد المحتوى الرمزي من المحتوى المباشر في الرؤيا؟ نقول إن المحتوى الرمزي واضح، فلا يوجد بقرة في الواقع تأكل بقرة أخرى بهذا الشكل، وبالتالي فتظهر الرمزية بقوة في حالة البقر في الرؤيا، أما المحتوى المباشر أو القمح، فهو المحصول الأهم في حياة أهل البلد، والذي يرتبط بحياتهم اليومية بشكل مباشر، وقد ظهر في الرؤيا بحالاته الواقعية (الخضرة والجفاف) التي تختلف عن الحالة غير الواقعية التي ظهرت بها البقرات في الرؤيا.

من الملاحظ في الرؤيا أيضا صيغة النصيحة التي أدخلها يوسف (عليه السلام) في تعبير الرؤيا بقوله، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿...**فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ**﴾، فلم يقل لهم: فما سوف تحصدوه، سوف تتركوه في سنبله، بل جعله في صورة نصيحة وتوجيه مباشر لهم.

وأسلوب النصيحة في التعبير هو من أفضل الصيغ التي يمكن أن يستخدمها المعبِّر؛ لتؤدي الرؤيا دورًا إيجابيًّا في دفع الرائي إلى الخير وصرفه عن الشر بدلًا من التعبيرات السلبية. فمثلا: إذا اكتشف المعبِّر في الرؤيا ما يدل على فساد الرائي، فليقل له: اتق الله (تعالى)، بدلا من أن يقول له: أنت فاسد؛ وإذا اكتشف المعبِّر في الرؤيا ما

يدل على نعمة للرائي، فلينصحه بالتقوى والدعاء حتى تأتيه النعمة بدلًا من أن يكتفي بالقول له أن النعمة سوف تأتيه. فالنصيحة أسلوب فعال في صياغة تعبير الرؤى يقوي من قيمتها في حياة الرائي، ويضفي عليها بُعدًا أخلاقيًّا.

وقد تكون النصيحة في تعبير الرؤيا بأشياء ليست موجودة فيها، ولكنها ترتبط بها، أو بدرجة وعي وثقافة المعبِّر بموضوع الرؤيا، وذلك كقول يوسف (عليه السلام): ﴿...**فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ**﴾، فلا يوجد في الرؤيا ما يفيد باستهلاكهم للقليل مما يأكلون، أو ما يفيد بضرورة ترشيد استهلاكهم للقمح في هذه الفترة.

كذلك، فمن خلال أسلوب يوسف (عليه السلام) في التعبير تظهر ثقافته وعلمه بشؤون الاقتصاد، وهذا يؤكد على أهمية ثقافة المعبِّر العامة، وعلمه بطبيعة البيئة التي تحيط به، وإلمامه بالنافع من العلوم الدنيوية، وكيف ينعكس ذلك على حُسن استيعابه وتعبيره للرؤى.

كثير من أهل العلم استدلُّوا من خلال هذه الرؤيا على جواز أن يرى الكفار رؤى صادقة تتحقق في الواقع، وإن دياناتهم الباطلة ليست بالضرورة مانعًا من رؤياهم لأشياء صادقة. ومع ذلك فليست الرؤى الصادقة في هذه الحالة تزكية لما هم عليه من الكفر، بل قد تأتيهم لحكمة ما، كهدايتهم للإسلام، أو كمظهر من مظاهر الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، أو كمظهر للعدل الإلهي. فربما تأتي الرؤيا لتبشر عموم الناس بشيء فيه خير، أو تحذرهم من أذى-كما جاء في رؤيا الملك-، أو قد تأتي لتبشر مظلومًا بأنه سينتصر على ظالمه، أو مريضًا بأنه سيشفى، بل وربما يرى الكافر رؤيا لمصلحة شخص مسلم صالح كما رأى الملك رؤيا، فعبَّرها له يوسف (عليه السلام)، فكان ذلك في مصلحته بأن كانت الرؤيا وتعبيرها سببًا في خروجه من السجن، ونيله الملك.

وأخيرًا، تأتي الآية الكريمة الأخيرة في تعبير رؤيا الملك: ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾، فهذه الآية ليست من الرؤيا، وقد جاء في تفسيرها على لسان الكثيرين من المفسرين أنها كانت وحيًا من الله (تعالى) ليوسف (عليه السلام)؛ لإظهار فضله وكرامته للملك.

ومع ذلك، يمكننا الخروج من هذه الآية الكريمة بقاعدة مهمة في تعبير الرؤيا، وهي جواز تبشير المسلم الذي يرى رؤيا سيئة بالخير بعد الشر، وبالفرج بعد الشدة، وباليسر بعد العسر، وذلك مصداقًا لقول الله (تعالى): ﴿...**سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ (سورة الطلاق). ومن أمثلة ذلك: أن يرى المسلم في المنام أنه قد أصيب في نفسه أو ماله، فيبشره المعبِّر بالفرج من البلاء اعتمادًا على هذه القاعدة (والله تعالى أعلم).

رؤى الحديث الشريف

الرؤيا تزكّي عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه)

- عن أبي سعيد الخدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بينما أنا نائم، رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قُمُص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرَّ عليَّ عمر بن الخطَّاب وعليه قميص يجرُّه**». قالوا: ما أوَّلت يا رسول الله؟ قال: «**الدين**». (متفق عليه)

- عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم أتيت بقَدَح لبن، فشربت حتى إنِّي لأرى الرِّيَّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطَّاب**». قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**».

في هاتين الرؤيـيين دليل على أن رؤى المنام قد تأتي لتبيِّن أو تزكِّي أخلاقيات ومناقب بعض الأخيار من الناس. ومع ذلك، فلا يجوز أبدًا أن يكون تعبير الرؤيا وحده مصدرًا لحكم قاطع على الناس بالخير أو الشر دون أن تكون هناك أسانيد وأدلة واقعية تؤيد هذا الحكم. فأهل الخير والصلاح في الواقع، هم كذلك، وأهل الشر والفساد في الواقع، هم كذلك، ودور الرؤيا في هذه الأمور تأكيد الحكم على الشخص، وليس تقريره ابتداء. (والله تعالى أعلم بالنوايا والأحوال).

أمَّا عن تعبير الرؤيا الأولى، فقد رأى النبي ﷺ الناس يعرضون عليه وعليهم قُمُص (جمع قميص) بأطوال مختلفة، أدناها ما يبلغ ثدي الإنسان، وأقصاها ما رآه ﷺ على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهو قميص بالغ الطول يجرُّه على الأرض.

وقد عبَّر النبي ﷺ هذا القميص بأنه الدين. وبالتالي، فبقية القُمُص هذه دين أيضًا. وهذا قد يدل على أن هؤلاء الناس الذين عرضوا عليه ﷺ مسلمون، وليسوا كفارًا.

والقميص هنا هو القميص العربي، أو ما يعرف في عصرنا باسم: الثوب أو الجلباب، وليس القميص الذي يرتديه الغربيون.

وقد يدل الملبوس عمومًا في المنام على الدين، لاسيَّما القميص؛ للتشابه في وظيفة كل منهما، فاللباس يحفظ الإنسان ويستره من الأذى، كما يحفظ الدين المسلم ويستره من غضب الله (تعالى) وعقابه. وكذلك لقول الله (تعالى): ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]. في الآية الكريمة تشبيه للتقوى باللباس.

والدين درجات تختلف من مسلم لآخر كاختلاف أطوال هذه القمص، فربما جاء القميص الذي يبلغ الثدي كتعبير عن الحد الأدنى من الدين الذي لا يكون الإنسان مسلمًا أصلًا بدونه، فالثدي يقابل الصدر أو القلب الذي هو موضع الإيمان، وهو أقل ما يجب على المسلم من الدين حتى يكون مسلمًا؛ يقول الله (تعالى): ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون. إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾ [الشعراء٨٨:٨٩].

وهكذا، بدأ القميص بما عند الثدي كدليل على أضعف الإيمان، ثم تدرَّج نزولا؛ ليدل على ما هو أكبر من ذلك من درجات الدين كجهاد القول والعمل ودرجات العلم بالدين حتى يغطي القميص جسد المسلم كله، وفي هذه الحالة يكون المسلم قد أدى ما عليه من الواجبات وترك المنكرات، وعلم من الدين ما يجب عليه أن يعلمه.

أما في حالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فالأمر مختلف، فالقميص هنا لا يبلغ أقصى طوله فقط، بل يزيد عن طوله لدرجة أنه يجره خلفه على الأرض. وهذا قد يكون له دلالة، وهي أنه (رضي الله عنه) قد تعدى درجة العدل إلى درجة الفضل. وأن دينه قد تجاوز صلاح نفسه إلى إصلاح غيره من المسلمين، كما تعدَّى جهاده جهاد نفسه إلى جهاد للأمة كلها، وتعدى علمه علم نفسه إلى علم تنتفع به الأمة. فالقميص الذي يجره قد يدل هنا على أنه (رضي الله عنه) قد تعدى بدينه حدود رجل من رجال

المسلمين إلى آفاق عَلَم من أعلام المسلمين.

إن هذا القميص الذي رآه فيه النبي ﷺ يجره على الأرض قد يدل على أنه رجل انتفع بدينه كل مسلم، بل كل إنسان يمشي على الأرض، فرضي الله عنه وأرضاه.

من الملاحظ أيضًا في هذه الرؤيا أن النبي ﷺ قد رأى فيها عمر بن الخطاب (رضي الله عنها) مُسبِلًا إزاره (أي مُطيلًا ثوبه إلى ما أسفل الكعبين)، ورغم أن النبي ﷺ قد نهى عن ذلك في اليقظة بقوله ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**» (رواه البخاري)، فقد عبَّر هذا الرمز على معنى الخير. وفي ذلك دليل على أن المرء قد يظهر في الرؤيا بصورة لا تليق به أو فيها مخالفة شرعية، وفي الوقت نفسه يتم تعبيرها تعبيرًا طيبًا يليق بصلاح دينه وأخلاقه، وهو ما يعرف بقلب المعنى في تعبير الرؤيا (لمزيد من التفاصيل، يرجى مراجعة كتابنا "شمس دنيا المنام"/ كيف يتم تعبير الرؤيا بقلب المعنى؟)

أما عن الرؤيا الثانية، فهي تزكي عمر (رضي الله عنه)، ولكن في شيء أقل تحديدًا من الرؤيا الأولى، وهو العلم.

ولعل المقصود بالعلم هنا هو العلم الشرعي، وهو جزء من الدين لا شك. فالدين علم وعمل، فجاءت الرؤيا الأولى لتزكي دينه بصفة عامة (رضي الله عنه)، بينما جاءت الثانية تزكي علمه.

والعلم أساس الإيمان، وما عُبِد الله (تعالى) إلا بعلم، يقول الله (عز وجل): ﴿...**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**...﴾ (فاطر:٢٨). ويجب التأكيد هنا على أن المقصود بهذا العلم في الأساس هو العلم بكتاب الله (تعالى)، وسنة نبيه ﷺ، أما الجاهل بهما فلا يوصف بالعلم، ولو كان حاصلًا على أرفع الشهادات، يقول الله (تعالى) عن الكفار: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ**

بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩).

وقد يسأل هنا سائل: كيف لا يكون هناك علماء حقيقيون غير العالمين بالكتاب والسنة مع أن الدنيا تزخر بعلماء في كل علوم الدنيا؟ نقول: صحيح أنَّ كثيرًا من الغافلين عن الله (تعالى) وعن هديه وشرعه لديهم علم بالدنيا، لكن هذا العلم إذا ما قورن بجهلهم بخالق الكون وبشريعته وبآخرته، أصبح جهلًا فوق جهل؛ لأن الله (تعالى) إنما خلق هذه الدنيا ليعرفه الإنسان بها، ولتكون للإنسان دليلًا على قدرته (سبحانه)، كما في قول الله (تعالى): **﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْـحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** (فصلت:٥٣). أما هؤلاء، فقد خرجوا بهذا العلم بالدنيا عن هدفه، فبدلًا من أن يدلهم على الله (عز وجل)، انشغلوا به عن الله (تعالى)، واستكبروا به عن عبادته (سبحانه)، فما زادهم هذا العلم بالدنيا - في واقع الأمر - إلا جهلًا فوق جهل. وهؤلاء هم من قال الله (تعالى) فيهم: **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾** (الروم:٧)، فرغم علم هؤلاء بالدنيا إلا أن هذا لم يمنع اتصافهم بالغفلة والضلال وتشبيههم بالأنعام.

وفي الرؤيا الثانية كان قدح اللبن رمزًا للعلم الشرعي الذي أوتيه النبي ﷺ من لدن الحكيم الخبير، أو كما قال: «**أُتيت بقَدَح لبن**». والقَدَح هو نوع من الآنية يفترض أن يكون أكبر من الكوب وأصغر من إناء الطبخ، ويستخدم للشراب، وربما كان يُصنع وقتها من الفخَّار أو الحديد.

واللبن في المنام قد يدل على الإسلام وعلى شريعة الله (تعالى)؛ لما وقع في حادثة الإسراء والمعراج، أو كما قال النبي ﷺ: «**...ثم أُتيت بإناءين: في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة،**

أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك» (متفق عليه).

فإذا كان اللبن في الرؤيا يدل على الشرع وعلومه، فقد يدل الإناء في هذه الرؤيا على أن هذا الشرع أو العلم له حدود معلومة ومفهومة ومميزة يقدر على الإلمام بها كل أحد، فاللبن في الرؤيا لم يأت مصبوبًا أو مُسالًا، بل محدودًا بهذا القدح، وفي متناول اليد.

وهكذا شرب النبي ﷺ في الرؤيا هذا اللبن، وهو العلم الذي تلقَّاه عن رب العزة (سبحانه)، ثم رأى الريَّ يخرج من أظفاره الشريفة.

والريُّ، أي اللبن، أو ما يرتوي به الإنسان. واللفظ هنا مهم في تعبير الرؤيا، إذ لا بد للمعبِّر أن يأخذ في اعتباره الألفاظ التي يصف بها المسلم رؤياه، ففي ذلك أداة معينة على التعبير.

ولعل النبي ﷺ قد استعمل لفظة «الريَّ» هنا والذي هو من روى، يروي، يرتوي، ارتواء، للدلالة على معنى اللزوم لهذا العلم والكفاية به؛ إذ لا غنى للإنسان عن الارتواء ولا حاجة له بعده في سواه.

أما خروج اللبن من أظفاره الشريفة ﷺ، فقد يدل على مآل هذا العلم أو الدين، وهو الظَّفر في الدنيا والآخرة، فالظُفر في المنام ظَفر، والأظفار تعدد أوجه هذا الظَّفر، والحمد لله رب العالمين.

أما إعطاؤه ﷺ فضله لعمر (رضي الله عنه)، فهو فضل من ميراث النبوة وعلمها أخذها (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ، وكما قال النبي ﷺ في هذا المعنى: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» (حديث حسن – صحيح الجامع).

والله (تعالى) أعلم.

سوار الذهب في المنام قد يدل على الخصم الكذاب

- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم إذ أُتيت خزائن الأرض، فوُضع في يديَّ سواران من ذهب، فكَبُرا عليَّ وأهمَّاني، فأُوحي إليَّ أن أنفخهما، فنفختهما، فطارا. فأوَّلتُهما الكذَّابَين اللذين أنا بينهما (وفي رواية: فأوَّلتهما كذابين يخرجان من بعدي): صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة (وفي رواية: فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة)**» (متفق عليه).

رأى النبي ﷺ في هذه الرؤيا أنه قد أوتي خزائن الأرض، أي ثروات وكنوز الأمم والشعوب، وقد جاء تعبير خزائن الأرض في سورة يوسف، في قول الله (تعالى): ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف:٥٥).

وقد جاء ذكر رؤياه ﷺ في المنام لخزائن الأرض في حديث آخر، وهو قوله ﷺ عن أبي هريرة: «**بُعِثْتُ بجَوَامِعِ الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي**» (متفق عليه).

ولعل ذلك كان بشرى في المنام بانتصار الإسلام وعلو شأنه في الأرض، وأن المسلمين سيغنمون هذه الثروات والكنوز، كما حدث في عهد النبي ﷺ في فتح مكة، أو كما جاء في قول الله (تعالى): ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)**﴾ (سورة النصر)، أو كما حدث في الفتوحات الإسلامية من بعده ﷺ، وبلوغ الإسلام سائر بقاع الأرض شرقًا وغربًا، والدليل على ذلك ما جاء في حديث آخر من قوله ﷺ كفتح الروم وفارس ومصر وغيرهم: «**...وإنِّي قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض، - أو مفاتيح الأرض -، وإنِّي واللهِ ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنِّي أخاف**

عليكم أن تنافسوا فيها» (متفق عليه)، مما دلَّ على أن الدنيا «خزائن الأرض» ستفتح للمسلمين فتحًا قد يُغري بالتنافس فيها.

وربما تدل خزائن الأرض في الرؤيا كذلك على البشرى بعلو كلمة الإسلام، وأنه سيسود الأرض في آخر الزمان مصداقا للحديث الشريف عن المقداد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَر ولا وَبَر؛ إلَّا أدخله الله كلمة الإسلام، بعزِّ عزيز وذلِّ ذليل: إمَّا يُعِزُّهم اللهُ فيجعلُهم من أهلها، أو يُذِلُّهم فيدينون لها**» قلت: فيكون الدين كلُّه لله (صحيح - رواه أحمد/ تخريج مشكاة المصابيح).

ثم رأى النبي ﷺ بعد ذلك سوارين (مُثنَّى سوار، وهو حِلية مستديرة توضع في اليد للزينة) من ذهب في يديه الشريفتين، فكبرا عليه ﷺ (أي ثقُلا وشقَّا عليه ﷺ)، فأُوحي إليه في الرؤيا (أي قيل له بكلام أو بغير كلام، الله تعالى أعلم) بأن ينفخهما، فنفخهما، فطارا. فعبَّر النبي ﷺ هذين السوارين أنهما رمزان لُمسيلِمة والأسود العنسي (كذَّابان ادَّعيا النبوة في أواخر عصر النبي ﷺ). وقد كانت هذه الرؤيا بشرى بالقضاء عليهما، وقد تحققت بالفعل بفضل الله (تعالى).

وقد يدل السوار في المنام على الخصومة أو الخصم، وذلك للجناس بين التسوُّر (أي ارتداء السوار الذي رآه النبي ﷺ في المنام)، وبين التسوُّر المذكور في قول الله (تعالى): ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْـخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾ (ص:٢١). وهو (بمعنى تسلق السور)، والذي ارتبط بمعنى الخصم أو الخصومة. وبالتالي، دلَّ التسوُّر في رؤيا النبي ﷺ على هذين الخصمين، أي الكذاب والعنسي.

نلاحظ كذلك في الرؤيا ارتباط أولها بآخرها، وهكذا تأتي الرؤى الصادقة دائمًا، يرتبط بعضها ببعض، ويعين بعضها على تعبير بعض، فيسير تعبير رموزها في اتجاه معنى عام واحد غالبًا لا تتشتت عنه.

فعلى سبيل المثال: في أول هذا المنام رأى النبي ﷺ أنه أوتي خزائن الأرض، فكانت هذه البشرى بالفتح والنصر المبين للإسلام في الأرض، بينما جاء النصف الآخر من الرؤيا يشير إلى بعض معوقات أو عقبات في طريق تحقيق هذا النصر، وهما الكذابان مسيلمة والعنسي، ثم تأتي البشارة بالقضاء عليهما في آخر الرؤيا حتى يكتمل النصر وتعلو كلمة الله (عز وجل) دون عائق، بل ومن ضمن هذا الارتباط بين أجزاء الرؤيا أن الرموز قد جاءت من جنس بعضها، فالأساور هي من جنس خزائن الأرض التي تكتنزها الأمم والشعوب ويغنمها الفاتحون، وهذا تأكيد أبلغ في الرؤيا على أن هذين السوارين يرتبطان بمعنى له علاقة بالبشرى بهذه الخزائن والغنائم والفتوحات، وهو أنهما رمزان لعقبتين تعوقان حصول هذا الخير، وهما الكذابان اللذان ادعيا النبوة وحاربا الإسلام والمسلمين.

وكذلك مما يدل على ارتباط أول الرؤيا بآخرها أيضًا أن ظهور السوارين في يدي النبي ﷺ، وليس في يد واحدة - أي كل سوار منهما في يد -، فقد يدل ذلك على اختلاف مكاني ظهور هذين الكذابين، وهذا حقيقي، فقد ظهر أحدهما في وسط جزيرة العرب، بينما ظهر الآخر في جنوبها. ويظهر الارتباط هنا بين أول الرؤيا وآخرها في أن أول الرؤيا أو قوله ﷺ: «...**أُتيت خزائن الأرض**...» يرتبط بالجغرافيا على الأرض، أي التوسعات والفتوحات الإسلامية، وكذلك يرتبط وجود السوارين في كل يد من يديه الشريفتين ﷺ على حدة بجغرافيا ظهور هذين الكذابين، أي ظهور كل واحد منهما في مكان بعيد عن الآخر.

والمعادن في المنام قد تدل بصفة عامة على الناس؛ لقول النبي ﷺ: «...**الناس معادن**...» (رواه البخاري).

من الجدير بالذكر أن سوار الذهب قد يدل في المنام على معانٍ جيدة، فهو لباس أهل الجنة، يقول الله (تعالى): ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ (الكهف:٣١).

ولكن لماذا دل في هذه الرؤيا على المعنى السيء دون المعنى الجيد؟

أولًا: لما تقدم ذكره من دليل على أن السوار قد يدل على الخصم في المنام.

وثانيًا: لأن سياق الرؤيا نفسه يرجح المعنى السيء؛ فقد أهمَّا النبي ﷺ، ونفخهما. فهذا سياق يرجح المعنى السيء لهذين السوارين أكثر من المعنى الجيد. وهنا يجب على المعبِّر أن يدرك أن الرؤيا وحدة متكاملة يرتبط بعضها ببعض، ويعين بعضها على تعبير بعض.

وثالثًا: لأنهما مصنوعان من الذهب، والذهب حرام على رجال المسلمين. وبالتالي، دل هذان السواران على أمر سيء، أو وضع لا يستقيم ويجب إصلاحه، أو أمر لا يرضي الله (تعالى) ويجب تقويمه، وهما هذان الكذابان.

ورابعًا: لأن هذه الأساور من حُليِّ النساء والمشركين، ولم يعتد النبي ﷺ لبسها. وبالتالي، دلت على أمر طارئ وسيء ومعارض، وهما هذان الكذابان.

من الأشياء المهمة التي يجب أن يلتفت إليها المعبِّر جيدًا الألفاظ التي يستخدمها الرائي في قصِّ رؤيا؛ لأنها قد تكون جزءًا من وحي الرؤيا نفسها وتفيد في تعبير الرؤيا. ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «**فكَبُرا عليَّ**»، فالمعنى الظاهر أن السوارين قد ثقُلا على النبي ﷺ. لكن من الممكن من خلال هذا اللفظ استنتاج أن هذين الكذابين – اللذين يرمز لهما هذان السواران – سوف يتكبَّران على مقام النبوة والامتثال له بادعائهما النبوة، فالسواران كبُرا في المنام، والكذابان تكبَّرا في الواقع.

أما عن النفخ – أي نفخ السوارين في المنام –، فقد يدل على الموت الصاعق الشديد

للكافر؛ لقول الله (تعالى): ﴿**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾ (النمل:٨٧). أما الطيران – أي أن السوارين قد طارا في المنام –، فقد يدل ذلك على الموت وصعود الروح؛ لأن الروح تصعد بعد الموت كما دل على ذلك حديث طويل عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) نذكر بعضه فقط هنا للاستدلال على صعود الروح: «...**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه [من السماء] ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوحُ، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه؛ فيقول أيتها النفس الخبيثة! أخرجي إلى سخط من الله وغضب [قال:] فتُفَرَّق في جسده، فيَنتَزِعُها كما يُنتَزَعُ السَّفود من الصوف المبلول، فيأخُذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسُوح، ويخرج منها كأنتن جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكة إلَّا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا، حتى يُنتَهَى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتَح له، فلا يُفتَح له**...» (حديث صحيح).

من الأمور التي تدل عليها هذه الرؤيا أيضا هو أن هناك بعض الرؤى قد تتحقق بعد وفاة رائيها، وأن هناك رؤى قد تتحقق لرائيها بواسطة أشخاص غيره رغم أنه هو الفاعل في الرؤيا. وهذا يتمثل في هذه الرؤيا في أن النبي ﷺ لم يشهد القضاء على هذين الكذابين، ولكن قضي على مسيلمة الكذاب في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، بينما قتل الأسود العنسي في آخر أيام النبي ﷺ، ولم يصل خبر مقتله إلى المدينة المنورة إلا بعد وفاة النبي ﷺ.

من الملاحظ كذلك في هذه الرؤيا هو أن الفاعل لبعض ما فيها غير محدد، أو يتم التعبير عنه بفعل مبني للمجهول، كقوله ﷺ: «**أُتيت خزائن الأرض**»، «**فوُضع في**

يديَّ سواران»، «**فأُوحي إليَّ أن أنفخهما**»، دون تحديد في الرؤيا لمن أعطى، أو من وضع، أو من أوحى. وقد تأتي بعض الأفعال في الرؤى مجهولة الفاعل أو دون تحديد له للدلالة على بعض المعاني، منها: الإشارة إلى أن الفاعل هو الله (عز وجل)، وأن هذه النعمة من الله (تعالى)، وأن هذا البلاء من الله (تعالى). وبلا شك أن كل ما يحدث هو قضاء الله (تعالى) وقدره (سبحانه)، لكن تأتي هذه الأفعال المجهولة لتؤكد على أن الفضل كله لله (تعالى) وليس لكم، فاشكروا، وأن هذا البلاء من الله (تعالى)، فاصبروا، حتى ولو كان الإنسان هو الفاعل لها في الظاهر. وكذلك فقد تدل هذه الأفعال المجهولة الفاعل في بعض الرؤى على أن هذا الشيء مفروض على الإنسان، أو أنه لا دخل له فيه، أو أنه ليس بسببه، أو أنه ليس بمبادرة منه، أو أن أسباب هذا الشيء مجهولة أو عجيبة أو فريدة أو لا تخضع للحسابات المنطقية.

من المهم أيضًا للمعبِّر الذي يعمل في مجال تعبير رؤى المسلمين أن يتحقق جيدًا من أحوال من يعبِّر لهم، وأن يجعل من هذه الأحداث منطلقات مهمة لتعبير الرؤيا. وكما نرى في هذه الرؤيا أن النبي ﷺ قد أسقط تعبير الرؤيا على الأحداث الواقعة فعلًا. وهي بداية ظهور المرتدين وحركات الردة في الجزيرة العربية. ولا شك أنه ﷺ قد عبَّرها هكذا بوحي من الله (تعالى)، ولكن هذا لا يمنع من استخراج الدروس والملاحظات المفيدة التي تعين معبِّر الرؤيا على القيام بعمله على الوجه الأفضل، لاسيَّما في مثل هذا النوع الشائع بين المسلمين من الرؤى التي تبشرهم بالنصر والتمكين والغلبة على أعدائهم.

الرؤى تبشر المسلمين بالهجرة والفتح والجزاء العظيم، وتعزيهم في مصابهم يوم أحد

عن أبي موسى الأشعريِّ، عن النبي ﷺ، قال: «**رَأَيْتُ فِي الْـمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْـمَدِينَةُ يَثْرِبُ. وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْـمُؤْمِنِينَ. وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْـمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْـخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْـخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**» (متفق عليه).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلًّا، فَأَوَّلْتُهُ: فَلًّا يَكُونُ فِيكُمْ. وَرَأَيْتُ أَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ: كَبْشَ الْكَتِيبَةِ. وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا: الْـمَدِينَةَ. وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**». فَكَانَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. (حديث صحيح - رواه أحمد في مسنده)

في الرؤيا الأولى، أو الحديث الأول، يظهر أن النبي ﷺ قد رأى هذه الرؤيا قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، ولكن سمعها منه أبو موسى الأشعري بعد الفتح الأعظم أو فتح مكة وزوال دولة الشرك والمشركين. والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي الْـمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْـمَدِينَةُ يَثْرِبُ...**»، ومعنى ذهب وَهَلي: ظننت بخلاف الواقع. فدل ذلك

على أنها كانت رؤيا قبل الهجرة النبوية الشريفة. وأما كون الراوي قد سمعها بعد الفتح، فلقوله ﷺ: «...**فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْـمُؤْمِنِينَ**...»، ولعله ﷺ قصد باجتماع المؤمنين، أي اجتماع المؤمنين في المدينة (ومن بينهم مهاجرون من مكة) بالمؤمنين الذين كانوا يكتمون إسلامهم في مكة بعد الفتح.

في بداية الرؤى يقول النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي الْـمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْـمَدِينَةُ يَثْرِبُ**...». ومعنى ذلك أن النبي ﷺ كان قد رأى قبل الفتح أنه يهاجر إلى أرض بها نخل، ولم تكن هذه الأرض معلومة له ﷺ في المنام، ولم يخبره الله (عز وجل) بتعبيرها. فظن ﷺ أنه سيهاجر إلى اليمامة أو هجر(١)، ولكن تبين له ﷺ بعد ذلك أنها المدينة المنورة أو يثرب كما كان اسمها قبل الهجرة النبوية إليها.

من أهم ما يمكن أن نخلص إليه من هذا الجزء من الرؤيا هو أن تعبير الرؤيا قد يخطئ وقد يصيب، وأنها قد تتحقق على ما عُبِّرت عليه أو لا تتحقق، وأن الغيب اليقيني لا يؤخذ من الرؤى، ولا يعلمه إلا الله (عز وجل).

صحيح أن تعبير الرؤيا هو علم واجتهاد له قواعد وأصول، وأنه عمل جاد لا ينبغي أن يقوم به إلا من يحسنه، وأن رؤى المسلم أكثرها صادق كما جاء عن النبي ﷺ: «**فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْـمُؤْمِنِ تَكْذِبُ**...» (حديث صحيح - رواه أحمد في مسنده). وصحيح أن المسلم الصالح الصادق إذا سأل عن رؤياه العالم التقيَّ الثقة، فقد كادت رؤياه أن تتحقق على ما عُبِّرت عليه؛ لقول النبي ﷺ: «**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ، وَلَا تَقُصَّهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ أَوْ ذِي رَأْيٍ**» (حديث

(١) **اليمامة**: إقليم تاريخي كان يحتل الثلث الجنوبي الغربي مما يعرف الآن باسم منطقة نجد بالمملكة العربية السعودية.
هَجَر: مدينة تاريخية كانت توجد فيما يعرف الآن باسم المنطقة الشرقية أو الإحساء بالمملكة العربية السعودية.

صحيح – صحيح الجامع). ومعنى وادٍّ: حبيب، أي شخص بينك وبينه مودة؛ ومعنى ذي رأي: مشتهر بالحكمة والرأي السديد.

ومع ذلك، فإن أفضل النتائج التي قد يصل إليها تعبير الرؤيا في أفضل الأحوال لا يعدو أن يكون ظنًّا، سواء كان هذا الظن قويًّا جليًّا يقترب من اليقين، أو كان ضعيفا تكثر فيه الاحتمالات.

وبناء على ذلك، ينبغي للمسلم أن يتعامل مع هذه الرؤى بإيمان وإحسان. فأمَّا الإيمان، فبأن الله (عز وجل) هو الذي يعلم الغيب يقينا، وأن تحقيق هذه الرؤى هو بيد الله (تعالى) وحده، فهو (سبحانه) يملك تحقيقها فعلًا أو عدم تحقيقها حتى وإن صدقت وعُبِّرت تعبيرًا صحيحًا. وأمَّا الإحسان، فهو أن يتعامل المسلم مع الرؤيا بالتوكل على الله (تعالى) وبالدعاء الصادق. فأمَّا التوكل فهو تفويض أمر الغيب إلى الله (تعالى)، وحسن الظن به (سبحانه)، والاعتماد عليه فيما هو آت (جل جلاله) دون تقصير في الأخذ بأسباب الوصول إلى حصول المأمول ممَّا هو المقبول شرعًا وعقلًا. وأمَّا الدعاء الصادق، فهو أن يتوجَّه المسلم إلى الله (عز وجل) بالقلب واللسان والجوارح متضرعًّا من أجل أن يحقق له هذه الرؤى وتعبيرها على أفضل ما يكون.

أمَّا التواكل على الرؤى وتعبيرها، وما فيها من بشارات محتملة، والتعامل معها على أن الإنسان قد ضمن مستقبله، وعرف ما يأتيه من الغيب من خلالها، فيدفعه ذلك إلى ترك التوكل على الله، والتقصير في العمل، فهذا هو طريق الخسائر والصدمات، يخسر الإنسان علاقته بالله، ويصطدم بما لم يتوقعه أو يتمناه في عاجل أمره وآجله.

لذا وجب على المسلم أن يتعامل مع الرؤيا وتعبيرها بالاعتدال دون إفراط أو تفريط حتى تؤدي دورها الصحيح، فتكون سبيلًا يقرب المسلم إلى الله (تعالى)، ويدفعه إلى المزيد من التعلق برحمته (سبحانه)، ولا تكون سببًا للقعود والعبث.

من الأشياء المستفادة أيضًا مما جاء في أول الرؤيا هو أن هذه الرؤى تكون في الأغلب رموزًا ساترة أو كنايات عن أشياء ترتبط بها وتدلّ عليها. فالأرض التي بها نخل تدل على المدينة المنورة؛ لأنها أرض تشتهر بنخلها. وكذلك يظهر هنا أن معاني الرموز أو ما ترتبط به الكنايات قد تحتمل احتمالات ووجوهًا متعددة قد يظهر بعضها للمعبِّر أو قد لا يظهر بحسب ما وفقه الله إليه من علم وبصيرة؛ فهذه الأرض التي بها نخل في الرؤيا قد يُحتمل أن تكون اليمامة أو هَجَر، فهي أراضٍ بها نخل كالمدينة.

كذلك يظهر لنا في هذا الجزء من الرؤيا أمر هو غاية في الأهمية، وهو ضرورة أن يعتقد المسلم الصالح أن الرؤيا سوف يحققها له الله (تعالى) على أفضل ما تحتمل، فإن لم تتحقَّق على ما عبَّرها عليه، فسوف تتحقق على ما هو أفضل بمشيئة الله (تعالى). وهذا من باب حسن الظن بالله (عز وجل). فهنا ظن النبي ﷺ أنه سيهاجر إلى اليمامة أو هَجَر، فهاجر إلى ما هو أفضل منهما كثيرًا، وهي المدينة المنورة؛ فهي أقرب منهما إلى مكة المكرمة، وذات موقع جغرافي متوسط وقريب من طرق التجارة الرئيسية بين الشام واليمن، وتحيط بها الجبال الحصينة تحميها من هجمات الأعداء، بالإضافة إلى ما فيها من أرض خصبة ونخل مثمر، والأهم من ذلك هو أهلها الطيبون الذي نصروا النبي ﷺ وانتصروا لدعوة الإسلام. في حين مثلًا أن اليمامة -على موقعها البعيد عن مكة - قد ظهرت فيها حركة عاتية من حركات الردة بقيادة مسيلمة الكذاب، أما هَجَر فهي في موقع منطقة سهلية مفتوحة، وفي موقع متطرف بعيد عن قلب الأحداث وعموم الناس في الجزيرة العربية.

من بين الأشياء المستفادة أيضًا أن الرؤيا قد تأتي بشيء ولا تأتي بشيء آخر، وقد توضح شيئًا، ولا توضح شيئًا آخر. فالغيب لا يكون صفحة مكشوفة للإنسان من خلال الرؤى غالبًا، بل تأتي الرؤى بأشياء تكون في مصلحة الرائي أن يعلم بها، وأن

يعبِّر رموزها، وأن يعرف معانيها، وقد لا تأتي بأشياء أخرى لا يكون في مصلحة الرائي معرفتها كأشياء محزنة أو مفزعة أو نحو ذلك. ولذلك فالغالب على الرؤى أن تأتي لتوضح فواصل معينة أو لمحات مهمة من أمور الغيب، ولا تكشف بالضرورة كل التفاصيل أو كل ما سوف يحدث من مواقف. فهنا أتت الرؤيا بالهجرة إلى أرض بها نخل، لكنها لم تكشف عن هذه الأرض، ولا توقيت الهجرة إليها، ولا كيفية هذه الهجرة، ولا الظروف التي أحاطت بها، بل قامت الرؤيا بالتركيز على الحدث المهم فقط دون التفاصيل. وهذا سبب من ضمن الأسباب التي تجعل المسلم يتعامل بنوع من الحرص وانضباط القلب والجوارح واستقامتها مع الرؤى، فلا هو يرفضها أو يستهين بها ولا هو يفتتن بها أو يركن إليها.

يقول النبي ﷺ: «**...وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى، فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْـمُؤْمِنِينَ...**».

في هذا الجزء من المنام، رأى النبي ﷺ أنه قد حرَّك سيفا، فحدث كسر في مقدمته أو نصله أو حدِّه، فعبَّرها ﷺ بالخسائر التي أصيب بها المسلمون يوم أحد في الأنفس والأموال. ثم رأى ﷺ أنه قد حرَّك السيف نفسه مرة أخرى، فعاد إلى أفضل أحواله التي كان عليها، فعبَّرها ﷺ بأنها كانت البشرى من الله بفتح مكة واجتماع المؤمنين.

وهزُّ السيف في الرؤيا هنا أو تحريكه هو كناية عن الحرب التي يخوضها المسلمون؛ لأن الفارس لا يهز السيف أو يحركه إلا في الحرب. أما الكسر في مقدمة السيف، فهو كناية عن الخسائر في الحرب؛ لأن هذا الكسر في عتاد الحرب هو خسارة للمحارب، فكان ذلك رمزًا لما أصيب به المسلمون يوم غزوة أحد من مقتل سبعين رجل منهم.

أما إعادة تحريك السيف أو هزِّه مرة أخرى، فيعود على أحسن ما كان، فهو كناية

عن حرب أخرى أو جولة أخرى ينتصر فيها المسلمون على أفضل ما يكون الانتصار ودون خسائر ويلتئم شملهم كما التأم السيف في الرؤيا، وقد حدث ذلك في فتح مكة.

ويظهر في هذا الجزء من الرؤيا أو ما قبله أنها كثيرًا ما تأتي بأحداث مهمة أو فارقة أو مؤثرة بشكل عام دون أن تدخل في تفاصيل وأحداث دقيقة أقل أهمية. وهذا من الطبائع الغالبة على العديد من الرؤى يلاحظه من يتعاملون معها باستمرار.

يظهر كذلك في هذا الجزء من طبائع الرؤى أن الرؤيا إذا احتوت على ما فيه همٌّ أو حزن، يعقبها عادة ما فيه بشرى وخير، لاسيَّما في رؤى المسلمين الصالحين على وجه الخصوص ودون غيرهم، أو كما جاء في هذا الجزء من الرؤيا بأن تخبر عن مصيبة يوم أحد، ثم تبشر بالعوض والنصر بعدها يوم الفتح.

من طبائع الرؤى أيضًا عدم وضوح التوقيت والفوارق الزمنية بين ما تدل عليه من أحداث غالبًا؛ فالرؤيا هنا لم تحدد وقتًا مُعيَّـنًا لوقوع ما تخبر به من أحداث، كما أن الفارق الزمني بين غزوة أحد والفتح الأعظم – وهو أشهر وسنوات – لا يظهر أبدًا في التعاقب المتصل بين هزَّتي السيف في الرؤيا، فهزٌّ يتبعه هزٌّ على التوالي في الرؤيا، بينما الفاصل بين الحدثين سنوات في واقع الأمر.

يقول النبي ﷺ: «...**وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْـمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْـخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْـخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**».

هذا الجزء من الحديث هو من أكثرها إشكالا؛ لتعدد رواياته واحتمالات معانيه.

فقد جاء في رواية: «**وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ**». وجاء في رواية أخرى: «**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا يُنْحَرُ، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الحَصِينَةَ الْـمَدِينَةُ، وَأَنَّ الْبَقَرَ نَفَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**» (صحيح الجامع). وجاء في رواية ثالثة:

«...**وَأَنَّ الْبَقَرَ بَقرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**...» (تغليق التعليق).

فالظاهر من الجمع بين هذه الروايات أن النبي ﷺ قد رأى في المنام بَقَرًا يُذبح، فعبَّر هذا البقر بأنهم المؤمنون الذين استشهدوا في غزوة أحد (رضي الله عنهم).

والبقرة في المنام قد تدل على الإنسان؛ لأن عموم أجناس الحيوان قد تدل على الإنسان في المنام لوجود وجه للتشابه بينهم، أو كما جاء في قول الله (تعالى): ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ (الأنعام:٣٨)، أو كما عبَّرها النبي ﷺ: «...**وَأَنَّ الْبَقَرَ نَفَرٌ**...» (الحديث)، ونَفَرٌ، أي جماعة من الناس.

وقد تدل البقرة في المنام على المسلم المؤمن الصالح كثير الخير؛ لكثرة خيرها وعطائها، أو ربما لسورة البقرة في القرآن، والتي جمعت أصول الإسلام والإيمان.

وقد يعبَّر البقر في المنام أنه بَقْرٌ، أي قَتْلٌ، أو كما تقول العرب: بَقَرَ البطن، أي شقَّه، وهذا محتمل المعنى في قوله ﷺ: «...**وَأَنَّ الْبَقَرَ بَقرٌ**...» (الحديث).

أما تعبير «**وَاللهُ خَيْرٌ**»، ففيه احتمالات كالتالي:

أولا: أن تكون جزءًا من الرؤيا، بمعنى أن يكون النبي ﷺ قد رأى بقرًا ورأى خيرًا (لم يتضح ما هو هذا الخير في الحديث الشريف)، فعبَّر البقر بالمؤمنين يوم أحد، والخير بثواب الصدق الذي أكرمهم الله (تعالى) به بعد غزوة بدر، أو كما يقول الله (تعالى): ﴿**مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**...﴾ (سورة الأحزاب). فإلى مثل هذا القول ذهب ابن حَجَر العسقلاني في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

ونحسب أن احتمال صحة هذا القول ضعيف؛ إذ لا يوجد ما يدل قطعًا على أن هذه العبارة كانت جزءًا من الرؤيا.

ثانيا: ألا تكون «**وَاللهُ خَيْرٌ**» من الرؤيا أصلًا، وتكون كلمة قالها النبي ﷺ احتسابًا للمؤمنين الشهداء عند الله (تعالى) عسى أن يعوضهم (سبحانه) خيرًا مما خسروا، أو بمعنى: والله خيرٌ وأبقى؛ وأن تكون: «...**وَإِذَا الْـخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْـخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**»، فتكون هذه الجملة إقرارًا بالخير والثواب الذي أكرم الله (تعالى) به المؤمنين فيمن احتسبوهم عند الله (تعالى) من شهدائهم وخسائرهم في الغزوات المعارك عمومًا.

وهكذا يكون معنى: «**وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ**»، أي رأيت بقرًا تذبح، فيكون تأويل ذلك أنه بَقْرٌ، أو فعبَّرتُها على أنها بَقْر، أي قتل (استشهاد المؤمنين يوم أحد)، والله خير، أي والله خير وأبقى، أي نحتسبهم شهداء عند الله (تعالى)، ونسأله (عز وجل) العوض. فتكون الفاء هنا سببية، أي ما قبلها سبب لما بعدها. وهذا احتمال قوي؛ لقوله ﷺ أيضا: «**وَأَنَّ الْبَقَرَ نَفَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**»، أي نفر يستشهدون يوم أحد، والله خير، أي والله خير وأبقى، نحتسبهم عند الله (تعالى) شهداء، ونسأله (تعالى) العوض والجزاء. أما تكرار العبارة مرتين: «**فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**»، فربما للتوكيد على قوة الإيمان والثبات رغم فداحة المصيبة. فكان جزاء الصبر والاحتساب لشهداء المسلمين جميعًا منذ غزوة بدر عند الله (تعالى) هو الخير والثواب، أو كما قال ﷺ: «...**وَإِذَا الْـخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْـخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**».

هذا مبلغ اجتهادي والله (تعالى) أعلم بالصواب.

يقول النبي ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلًّا، فَأَوَّلْتُهُ: فَلًّا يَكُونُ فِيكُمْ. وَرَأَيْتُ أَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ: كَبْشَ الْكَتِيبَةِ. وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا: الْـمَدِينَةَ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**».

في هذا المنام رأى النبي ﷺ في سيفه ذي الفقار (وكان قد غَنِمَه يوم بدر) فلًّا، أي كسرًا في حدِّه، فعبَّره ﷺ أنه فلٌّ في المسلمين، أي انهزام في المسلمين، وهم شهداء يوم أحد (رضي الله عنهم). وكذلك رأى النبي ﷺ أنه يمتطي أرداف كبش، فعبَّره ﷺ بأنه نصر على طلحة بن أبي طلحة العبدري (وكان يلقب بكبش الكتيبة)، وكان حامل لواء المشركين يوم غزوة أحد، وقد قتله الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في المعركة. كذلك رأى النبي ﷺ أنه يرتدي دِرعا قوية، والدرع هو قميص الحرب يلبسه الفارس، ويتحصن به من ضربات العدو، فعبَّرها النبي ﷺ أنها المدينة المنورة، أمَّا ما تبقى من الرؤيا، فقد تقدم شرحه.

والسيف في الرؤيا كناية عن الحرب؛ لأنه أداته، والفلُّ فيه كناية عن خسائر؛ لأنه تَلَف. والكبش كناية عن الشخص المذكور الذي يطلق عليه لقب كبش الكتيبة؛ للجناس بين كلمة اسم رمز الرؤيا (كبش)، وبين لقب المذكور (كبش الكتيبة)، وامتطاء أرداف الكبش ربما يدل على تأييد من الله (عز وجل) في القضاء على هذا المشرك؛ لقول الله (تعالى): ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْـمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ (الأنفال:٩). لاحظ الجناس بين كلمة «مُردِف» في الحديث الشريف، وبين كلمة «مردفين» في الآية الكريمة. أما الدرع الحصينة، فهي كناية عن المدينة المنورة؛ لأنها محاطة بالجبال الشاهقة التي تحصن أهلها وتمنع الأعداء من اقتحامها، وبالفعل لم يستطع المشركون أن يقتحموها أبدًا.

في هذه الرؤيا يمكن أن نلاحظ بعض القواعد المهمة في تعبير الرؤيا، ومنها قاعدة الجناس، وهي أن يكون هناك تشابه في اللفظ بين اسم رمز الرؤيـا، وبين شيء آخـر في الواقع، فيـدل رمز الرؤيا على هذا الشيء، كما دل الكبش في المنام على كبش الكتيبة في الواقع. وكذلك الجناس بين اسم رمز الرؤيا وكلمة في آية من القرآن الكريم، فيتمّ تعبير هذا الرمز بشيء يرتبط بالكلمة في الآية القرآنية الكريمة، فمثلا: تفسير إرداف الكبش في الرؤيا من خلال كلمة «مُردِفين» في الآية الكريمة، وما يرتبط بها من معنى التأييد الإلهي، فكان إرداف الكبش في الرؤيا هو تأييد إلهي ضد كبش الكتيبة، أو طلحة بن أبي طلحة.

كذلك تظهر في الرؤيا قاعدة التشابه في صفة لتعبير الرؤيا، وهي أن تتشابه صفة لرمز الرؤيا مع صفة لشيء في الواقع، فالدرع الحصينة هي ساتر قوي يتحصن به من بداخله ضد هجمات الأعداء، تمامًا كالمدينة المنورة التي تحيط بها الجبال فتحصن سكانها ضد الهجوم عليها، فكان هناك تشابه بين صفة الدرع الحصينة وصفة المدينة المنورة، فتم تفسير هذه في الرؤيا بتلك في الواقع.

في هذه الرؤيا يظهر أحد أهم ملامح طبائع الرؤى عند المسلم، وهو عدم التبشير بأمر محزن إلا وكان معه شيء مفرح أو طمأنة للمبتلى بأن الله (تعالى) سيلطف به. وهذه صفة من الصفات البارزة لرؤى الصالحين التي فيها بشارات بهموم أو نكد. ويظهر ذلك في الرؤيا بوضوح، ففي البداية توجد بشرى بانهزام يكون في المسلمين، ومع ذلك فإن هذا الانهزام لن يكون كاملًا ولا تامًا، فالرؤيا تبشِّر أيضًا بالظفر على كبش الكتيبة، طلحة بن أبي طلحة، حامل لواء المشركين؛ فهنا يظهر البلاء في الرؤيا، لكن يظهر لطف الله (عز وجل) بالمسلمين كذلك. وبالمثل، تظهر البشرى في الرؤيا باستشهاد عدد من المسلمين. ومع ذلك لن يستطيع المشركون اقتحام المدينة المنورة

أو احتلالها، وقد كان هذا هو هدفهم للقضاء على الإسلام والمسلمين.

فهنا تظهر في الرؤيا بشارات بخسائر في المسلمين، ولكن تظهر بشارات أخرى بمكاسب مهمة وحفظ لمدينتهم ودولتهم. والحمد لله رب العالمين.

كذلك تظهر في هذه الرؤيا قاعدة مهمة في صياغة التعبير يلجأ لها المعبِّر عادة، وهي ألا ينتهي تعبير رؤيا المسلم الصالح بأمر محزن إلا أن يبشر المعبِّر الرائي بالخير وبرحمة الله (تعالى) بعدها، وإن لم يكن ذلك من الرؤيا حتى لا يتسبب في حزن للمسلم، ولا يُقنِّطه من رحمة الله (تعالى)، وحتى لا يهتز حسن ظنه بالله (عز وجل). ودليلنا على هذه القاعدة هو قول الله (تعالى): ﴿...**سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ (الطلاق:٧). وقد ظهر ذلك فعلا في آخر الرؤيا، في قوله ﷺ: «...**وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ، وَاللهُ خَيْرٌ**».

يظهر كذلك في تعبير الرؤيا مناسبته لأحوال رائيها ﷺ، فعلى الرغم من أن بها بعض رموز قد تبدو شخصية تخصُّه هو ﷺ، إلا أنه تم تعبيرها على معانٍ لعموم المسلمين. فعلى سبيل المثال، رؤياه ﷺ للفلِّ في سيفه، هو رمز شخصي في الرؤيا، وكذلك رؤياه ﷺ أنه يرتدي درعا حصينة، فهذا رمز شخصي أيضًا، لكن لأن رائيه ﷺ إمام عامة، فقد تم تعبير هذه الرموز الشخصية على معانٍ عامة. وكذلك فالعكس صحيح، ففي بعض الأحيان قد يرى المسلم العادي رموزًا لأشياء عامة، كأن يرى الخلائق يوم القيامة، أو يرى الأئمة والملوك، ولكن يتم تعبير هذه الرؤى على معانٍ خاصة بالرائي فقط إن لم يكن من المشتغلين بالشأن العام أو المهتمين به.

وهكذا يظهر في تعبير هذه الرؤيا ما يجب أن يتحلَّى به المعبِّر من فطنة وثقافة وذكاء - بفضل الله (تعالى) وتوفيقه (سبحانه)-، فيدرك أحداث الواقع جيدًا، ويفهم تفاصيلها، ويتمكن من اكتشاف ارتباطات معينة أو علاقات بينها وبين رموز الرؤى.

ففي هذه الرؤيا كان المسلمون في مرحلة جهاد في سبيل الله (تعالى)، وكان قتال بينهم وبين المشركين، ولا بد من مراعاة هذا الواقع في تعبير هذه الرؤيا.

وكذلك يجب على المعبِّر أن يدرك أحوال الرائي، ويستطيع أن يستفيد منها جيدًا في تعبير الرؤى، فيتم تعبير الرؤيا بما يليق ويتفق مع أحوال رائيها فعلًا وما يتناسب معه. فرؤيا إمام عامة غير رؤيا واحد من العامة، ورؤيا المسؤول، غير رؤيا المسلم العادي، غير رؤيا الكافر. ورؤيا الأعزب غير رؤيا المتزوج. ورؤيا الطبيب غير رؤيا المهندس. فمن العبث مثلًا أن يتم تعبير رؤيا طبيب على أنه سينجح في تصميم عمارة سكنية، ويحصل على جائزة في ذلك. ومن العبث أيضا أن يتم تعبير رؤيا مهندس على أنه سيقوم بأداء عملية جراحية ناجحة، ويحصل على وظيفة مدير مستشفى. ومن العبث كذلك أن يتم تعبير رؤيا شخص أعزب على أن بينه وبين زوجته مشاكل، وأنه سيطلقها قريبا! وهكذا.

يظهر في الرؤيا كذلك أحد أهم خصائص الرؤيا وطبائعها، وهو أنها عادة ما تأتي للمسلم برموز أو أشياء شخصية، إما أنها تخصه هو، أو أنه يتعامل معها، أو أنه يعرفها. فرموز الرؤيا غالبًا ما تكون من داخل عالم رائيها وأدوات هذا العالم، حتى الرؤى التي تأتي فيها أشياء غير مألوفة، كرؤيا يوم القيامة مثلًا، تجدها تأتي للرائي عادة في أشكال مألوفة يعرفها كأن يرى النائم جماعة كبيرة من الناس في مكان صحراوي يقفون تحت أشعة الشمس الحارة.

وهكذا يعتمد تعبير الرؤيا على عدد من العوامل تتداخل كلها وتتكامل في تحديد المعنى الأرجح والأقرب للصواب، وتحديد الشكل النهائي والأنسب لتعبير الرؤيا.

والله (تعالى) أعلم.

الرؤيا تبشر بانتشار الإسلام ورفعته وامتداد دولة الخلافة

– عن عبد الله بن عباس (رضي الله تعالى عنهما) أنه قال: «**أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ فِي الْـمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَالْـمُسْتَكْثِرُ وَالْـمُسْتَقِلُّ. وَأَرَى سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، وَاللهِ لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اعْبُرْهَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا الظُّلَّةُ، فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ، فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، فَالْـمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْـمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَالْـحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَصَبْتَ بَعْضًا، وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا. قَالَ: فَوَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ. قَالَ: لَا تُقْسِمْ**» (متفق عليه).

في هذا الحديث جاء رجل من عامة المسلمين إلى مجلس النبي ﷺ، فسأله عن رؤيا. وهي أنه رأى سحابة تُقطِّر سمنًا وعسلًا، وأن الناس يلتقطون هذا النازل بأكُفِّهم، فبعضهم يجمع منه الكثير، وبعضهم يجمع منه القليل. ثم رأى حبلًا يتدلَّى من السماء إلى الأرض، فرأى أن النبي ﷺ قد أمسك بهذا الحبل، فصعد به، ثم

أمسك به رجل آخر بعد النبي ﷺ، فصعد به، ثم أمسك به رجل ثانٍ بعد النبي ﷺ، فصعد به، ثم أمسك به رجل ثالث بعده ﷺ ليصعد به، لكن انقطع به الحبل، ثم التأم الحبل، أو انصلح هذا القطع الذي حدث فيه، فاتصل ببعضه مرة أخرى، فصعد به الرجل.

طلب أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) من النبي ﷺ أن يسمح له بتعبير الرؤيا، فسمح له. فقال في تعبيرها ما معناه: إن السحابة هي الإسلام، وإن العسل والسمن هما القرآن بما فيه من حلاوة ويُسر، وإن الحبل هو الحق الذي يلتزم به النبي ﷺ، ولعل المقصود بالحق هنا التطبيق العملي للإسلام أو دولة الإسلام التي أسسها النبي ﷺ، والتي تحكم بالحق والعدل الذي أمر به الله (عز وجل)، وتحارب الكفر والفساد الذي نهى الله (عز وجل) عنه. ثم استكمل (رضي الله عنه) بأن هذه الدولة ستُعَزُّ ويرتفع شأنها بقيادة النبي ﷺ، ثم يأتي رجل آخر أو خليفة بعده ﷺ في القيادة، فتزاد الدولة عزًّا ورفعة بقيادته، ثم يأتي بعده رجل ثانٍ أو خليفة، فتزداد الدولة عزًّا ورفعة في عهده، ثم يأتي رجل ثالث بعده لمركز القيادة، ولكن يحدث أمر يكاد أن يضيع بسببه هذا الحق أو يُقضي عليه، أو تكاد تنتهي بسببه دولة الإسلام، لكن ينصلح هذا الأمر، ويعود الحق كما كان، فتزداد دولة الإسلام عزًّا ورفعة.

بعد أن انتهى أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) من تعبيرها، سأل النبي ﷺ إن كان تعبيره للرؤيا صوابًا أم خطأ. فأخبره ﷺ إن بعض التعبير صواب وبعضه خطأ. فأقسم أبو بكر على النبي ﷺ أن يخبره بما أخطأ فيه. فامتنع النبي ﷺ عن أن يخبره بذلك، ونهاه عن القَسَم.

المقصود بدولة الإسلام في هذا السياق هو دولة النبي ﷺ، ثم دولة الخلافة التي تكون على منهاج النبوة.

وتشير الرؤيا إلى إقبال الناس على الإسلام والدخول فيه لما فيه من عوامل الجذب للقلوب والعقول، وتشير أيضًا إلى ما كان للإسلام من دولة أسسها النبي ﷺ، وهي الدولة الإسلامية التي بدأت في المدينة المنورة منذ هجرته ﷺ إليها، والتي سيرتفع شأنها وتتقوى كثيرًا. ثم تبدأ مرحلة الخلافة بأبي بكر (رضي الله عنه)، فتزداد هذه الدولة رفعة وقوة، ثم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فتزداد الدولة به رفعة وقوة، ثم عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ثم تحدث فتنة قتل عثمان، فلا يؤثر ذلك على استمرار دولة الخلافة ورفعتها وقوتها، فتزداد علوًّا ورفعة رغم ذلك. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: «**أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ فِي الْـمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَالْـمُسْتَكْثِرُ وَالْـمُسْتَقِلُّ...**».

الظاهر أن هذا الرجل الذي أتى إلى مجلس النبي ﷺ هو رجل مجهول من عامة المسلمين. وفي ذلك دليل على أن المسلم العادي قد يرى رؤى لا تختص فقط بأموره الشخصية، بل قد يراها لغيره من الناس، بل قد يراها لأمة الإسلام كلها، رغم أنه رجل غير معروف من عامة المسلمين يختصه الله (تعالى) بهذا الفضل والكرم.

والظُّلَّة هي كلمة يمكن أن تطلق على أي شيء يستظل به الناس، وقد تطلق على السحابة أيضًا. وهذا هو المعنى الأرجح هنا؛ لأنه رآها في منامه تنطِف أو تُقطِّر.

وهذا لا يحدث إلا في حالة السحاب والمطر.

أما السمن والعسل، فلم يذكر الرائي إن كانا مختلطين ببعضهما أم لا، ذلك لأن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عبَّرهما بمعنى واحد، وهو القرآن الكريم، رغم أنهما مادتين منفصلتين، فيحتمل هنا أنهما كانا في الرؤيا مختلطين، أو أن الناس اعتادوا في هذا الوقت على خلط السمن بالعسل وأكلهما معا كطعام واحد، لا سيِّما أنهما كانا في حالة سائلة في الرؤيا.

وقد روي في الأثر أن النبي ﷺ قد خلط السمن بالعسل بالدقيق، أو كما جاء عن عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) قَالَ: **لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمِرْبَدِ**[1]، **فَرَأَى عُثْمَانَ بن عفَّان - رضي الله عنه - يَقُودُ نَاقَةً تَحْمِل دَقِيقًا وَسَمْنًا وَعَسَلًا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "نَخِّ"، فَأَنَاخَ، فَدَعَا بِبُرْمَةٍ**[2]، **فَجَعَلَ فِيهَا مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ وَالدَّقِيقِ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُوقِدَ تَحْتَهَا حَتَّى نَضَجَ، ثُمَّ قَالَ: "كُلُوا"، فأَكَلَ مِنْهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا شَيْءٌ يَدْعُوهُ أَهْلُ فَارِسٍ الْـخَبِيصَ"**. (مجمع الزوائد/ رجاله ثقات/ قيل: حديث ضعيف).

وقد عبَّر ذلك أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بقوله: «**...أَمَّا الظُّلَّةُ، فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ، فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، فَالْـمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْـمُسْتَقِلُّ...**».

فالظلة في هذه الرؤيا هي رمز للإسلام؛ لأن الله (تعالى) شبَّه الإسلام في القرآن الكريم بالظلِّ، أو كما في قوله (عز وجل) في سورة فاطر: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**

(٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)﴾. وهذا الأسلوب هنا يسمى بالاستعارة التصريحية. فقد شبَّه الإسلام بالظل، ولم يصرح بالمشبَّه أو الإسلام صراحة، ولكن صرح بالمشبَّه به أو الظل فقط.

أما السمن والعسل فقد فسرهما الصدِّيق (رضي الله عنه) بالقرآن الكريم. ولعل ذلك يكون بسبب أن السمن غذاء والعسل شفاء للأبدان، كما أن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور وتزكية للقلوب. وهذا يطلق عليه في علم تعبير الرؤيا: "التشابه في الوظيفة"، أي يتشابه السمن مع القرآن في كونه غذاء لكن هذا للبدن وذاك للقلب، بينما يتشابه العسل مع القرآن في أن كليهما شفاء، لكن هذا شفاء للأبدان وذاك للصدور وما فيها من أمراض نفسية وأباطيل وأوهام. وهذا التشابه يجعل هذا يعبَّر بذاك، أي السمن والعسل في المنام يعبَّران بالقرآن الكريم.

أما خصائص السمن والعسل من حلاوة ولين، فهي خصائص القرآن الكريم أيضا، فهو حلو حلاوة ينجذب لها الناس، وحلاوة القرآن هنا بمعنى أنه يتناسب مع الفطرة السليمة والطباع المستقيمة التي يستحسنها العقلاء ويقبلون عليها، وذلك من حيث شكله ومضمونه ومنهجه. فهو حلو كحلاوة العسل، لكن العسل حلو المذاق باللسان، والقرآن حلو المذاق بالفؤاد. أما لين القرآن الكريم، فالمقصود به سهولته وبساطة معانيه بحيث يستطيع أن يقرأه كل أحد، وأن يفهمه بصرف النظر عن مستواه التعليمي والثقافي. وذلك كالسمن يستطيع كل أحد أن يأكله بسهولة ويسر دون مشقة، بل إنه يوضع في الأصل على الطعام لتليينه، وحتى لا يكون الطعام يابسًا صعبًا في الأكل.

وهكذا كان القرآن الكريم في حلاوة العسل وفي لين السمن.

أما قوله: «...**فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَالْـمُسْتَكْثِرُ وَالْـمُسْتَقِلُّ**...»، فالتكفُّف هو بسط الكفِّ للمسألة. وأخذ الناس بكفوفهم من السمن والعسل هو استقبال المسلمين للإسلام، وتعلمهم لمبادئه، وتطبيقهم لتعاليمه. والتكفُّف هكذا يدل على قيمة وأهمية ما يجمعه الإنسان في كفِّه، وشعوره بعظمته، وحرصه عليه. وهذا هو شأن المسلم مع دينه، يعرف أن إسلامه نعمة عظيمة، فيحرص عليه، ولا يستهين به ولا يستهتر.

أما المستكثر والمستقلُّ، فالناس يتفاوتون في مستويات علمهم بالإسلام، وفهمهم لأحكامه، وتطبيقهم لها، فالإيمان درجات، لا يتساوى المسلمون فيها، وسبحان الله الهادي إلى سواء السبيل.

وهذا الجزء من الرؤيا يشير إلى انتشار الإسلام على المستوى الأفقي، أي على مستوى القاعدة الشعبية العريضة من الناس أو الأفراد، عكس الجزء المتبقي من الرؤيا والذي يشير إلى انتشار الإسلام ككيان أو كوحدة أو كقوة ممثلة في الدولة الإسلامية وما سوف تبلغه من توسع وقوة. والدليل على ذلك أن الجزء الأول من الرؤيا ظهر فيه ناس أو جماعة مجهولة، بينما ظهر في الجزء الثاني شخص بعينه، وهو النبي ﷺ والخلفاء الراشدون ﷺ، فالجماعة رمز للناس، والشخص رمز للكيان أو الدولة وقيادتها.

ومن خلال ما سبق نلاحظ كيف تتناسق وتترابط أجزاء الرؤيا الواحدة، فتتعدد رموزها وتتشعب معانيها الجزئية، لكنها في النهاية تصبُّ في اتجاه واحد وتدور حول معنى يجمعها كلها. كما نلاحظ كذلك كيف يعين تعبير أول الرؤيا على تعبير آخرها. فإذا كان الجزء الأول يدل على انتشار الإسلام على مستوى الأفراد، فإن

الجزء الثاني يدل على انتشار الإسلام على مستوى كيان الدولة وقيادتها.

ثم يستكمل الرائي قصَّ رؤياه قائلا: «...**وَأَرَى سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا**».

وقد عبَّر أبو بكر (رضي الله عنه) هذا الجزء بقوله: «...**وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَالْـحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ**».

إذا كان الجزء الأول من الرؤيا يتحدث عن الإسلام كدين يعتنقه ويفهمه ويطبقه أفراد، فإن الجزء الثاني منها يتحدث عن الإسلام كدولة يمثلها رمز وقيادة.

وإذا كان الناس في الجزء الأول يستقبلون النازل من السماء إلى الأرض بأيديهم، فإن النبي ﷺ والرجال الآخرين يصعدون من الأرض إلى السماء بأيديهم على الحبل. هؤلاء يستقبلون النازل، وأولئك يصعدون. هل رأيت هذا التضاد في الرؤيا؟ لعل الهدف من هذا التضاد هو توضيح طبيعة الإسلام كدين وطبيعته كدولة ومدى التكامل بينهما، فهو تضاد تكامل وليس تناقضًا. فالإسلام كدين أو كتعاليم، لا يطلب فيه من الناس إلا أن يستقبلوه ويفهموه ويطبقوه على أنفسهم كما نزل من عند الله (تعالى) دون تغيير أو تبديل، وهذا هو ما يفعله من يجمعون السمن والعسل في أيديهم، أما الإسلام كدولة، فلا يكتفى فقط بالفهم والتطبيق الشخصي، بل لا بد من الأخذ بأسباب الرفعة والتقدم والقوة لهذه الدولة لتكون في القمة؛ لأن الحق يحتاج إلى القوة لتحميه وتدافع عنه، وهذا هو ما يفعله النبي

ﷺ والرجال الآخرون بالصعود على الحبل أو السبب؛ بمعنى الأخذ بأسباب الرفعة والتقدم للدولة الإسلامية.

ونلاحظ هنا أن استقبال الناس للسمن والعسل بأيديهم في الجزء الأول من الرؤيا أسهل وأيسر من الصعود على الحبل باليد في الجزء الثاني من الرؤيا، فالأولى مهمة قد تبدو أبسط كثيرًا من الثانية. وهذا هو الفرق بين الإسلام كدين والإسلام كدولة. فالإسلام كدين يحتاج في الأساس إلى حسن استقبال وفهم للتعاليم والأحكام النازلة من السماء، بينما يحتاج تكوين الدولة إلى جهد بالغ وعمل شاق، وهذا هو الفرق بين المستقبِلين للسمن والعسل والصاعدين على الحبل.

إن هذين الجزئين من الرؤيا يوضحان هذين المعنيين اللذين يشكلان أساس الإسلام، وهما الإيمان والعمل أو الاعتقاد وبذل الجهد أو الدين والدولة. وهما معنيان لا ينفكان عن بعضهما أبدًا ولا يستقيم الإسلام إلا بكليهما معًا.

نعود مرة أخرى لتعبير الرؤيا، أو الجزء الثاني منها. فتظهر هنا الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ تزداد رفعة وقوة وانتشارًا، وهو صعوده ﷺ على الحبل في الرؤيا، ثم يأتي الرجل الأول، ويفعل الشيء نفسه، وهو رمز لأبي بكر الصدِّيق الخليفة الأول (رضي الله عنه)، تزداد في عهده دولة الإسلام رفعة وقوة، ثم الرجل الثاني، وهو رمز لعمر بن الخطاب الخليفة الثاني (رضي الله عنه)، تزداد في عهده دولة الإسلام رفعة وقوة، ثم الرجل الثالث، وهو رمز لعثمان بن عفان الخليفة الثالث (رضي الله عنه)، تزداد في عهده دولة الإسلام رفعة وقوة، ثم...

ثم ينقطع الحبل، وهذا رمز للفتنة التي أحدثها المنافقون في عهد عثمان بن عفان، وانتهت بمقتله (رضي الله عنه)، وكادت أن تقضي على دولة الخلافة الإسلامية

الراشدة وما حققته من رفعة وقوة، إلا أن الحبل قد اتصل مرة أخرى. ومعنى ذلك أن هذه الفتنة لم تحقق هدفها بالقضاء على دولة الخلافة، بل انتقلت إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فاستكملت به مسيرة رفعة الدولة الإسلامية وقوتها.

ولكن بعد أن انتهى أبو بكر الصدِّيق من تعبير الرؤيا، وسأل النبي ﷺ عن صواب التعبير أو خطئه، أخبره ﷺ إن بعضه صواب وبعضه خطأ، فأين هو الخطأ؟

لعل الخطأ الظاهر هنا هو قوله: «...**ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ**». فهو قد عبَّر الرؤيا هنا بأن الرجل الثالث (الذي سيكون الخليفة الثالث عثمان بن عفان) سوف تضطرب دولته أو يحدث فيها خلل، لكن سينتهي الخلل، ويواصل هذا الرجل عمله وجهده ومسيرته، وهذا ما قد يوحي به ظاهر الرؤيا فعلًا من انقطاع الحبل ثم وصله واستكمال الرجل نفسه للصعود. ولكن هذا لم يحدث، فإن هذا الرجل الثالث، أو عثمان بن عفان، قد قُتل (رضي الله عنه)، واستكمل العمل والمسيرة والجهد رجل آخر، وليس هو كما يبدو من الرؤيا.

وهنا يظهر طبع مهم من طبائع الرؤيا، وهو ستر بعض الأمور المحزنة والمؤلمة في حياة المسلم حتى لا يحزن ويتألم بسببها لزمن طويل، أو حتى لا تضطرب حياته إذا عرف بها قبل زمن من حدوثها. فالظاهر من الرؤيا، وما قد يتصوره المعبِّر أن الرجل الثالث سوف تضطرب دولته أو تحدث فيها مشاكل (انقطاع الحبل)، ثم تنتهي هذه المشاكل ويستمر الرجل، لكن لعل المقصود فعلًا هنا هو استمرار دولة الخلافة أو المنهج نفسه في الحكم، وليس استمرار الشخص. فالظاهر في الرؤيا هو استمرار الشخص أو الحاكم، والمعنى الحقيقي هو استمرار الدولة أو أسلوب

الحكم، أي أن مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لن يؤدي إلى انتهاء دولة الخلافة أو منهج الحكم الإسلامي أو مسيرة الرفعة والقوة، بل سيتواصل كل ذلك بمشيئة الله (تعالى) وفضله (سبحانه).

فكأن المقصود هنا ليس استمرار الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كشخص، كما يبدو من ظاهر الرؤيا، ولكن استمراره كمنهج حكم وخلافة راشدة وإنجازات كبيرة متمثلة في شخص الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، كما يكون التلميذ امتدادًا لأستاذه والابن امتدادا لأبيه. وفي المثل المصري يقولون: من أنجب، لم يمُت. وذلك على أساس أن ولده امتداد لسيرته كشخص، فكأنه ما زال يعيش كشخصية وأخلاق وسلوك متمثلًا في ولده، وإن كان الشخص قد مات.

وهكذا، يظهر أن النبي ﷺ لم يشأ أن يخبره بما أخطأ فيه من التعبير حتى لا تنكشف فتنة قتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قبل حدوثها، فتُسبِّب حُزنًا وبلبلة في المسلمين.

من الفوائد المهمة في هذه الرؤيا:

١. إن تعبير الرؤيا أمر جائز مستحب، ولو كان في ذلك سعي ومشقَّة.

٢. إن تعبير الرؤيا لا يقتصر على الأنبياء فقط، بل يجوز أن يُعبِّرها من هم دونهم.

٣. إن الرؤى المهمة أو العامة أو التي تتناول شأنـًا مصيريًّا يخص أمم وشعوب لا تقتصر بالضرورة على الرؤساء أو الكبراء، كما حدث في رؤيا الملك في سورة يوسف (عليه السلام)، بل قد يراها واحد من عامة الناس أيضًا.

٤. إن تعبير الرؤيا هو اجتهاد ظنيٌّ، قد تتعدد احتمالاته، وقد تستتر بعض معانيه لدرجة قد لا يتمكن المعبِّر العالِم من اكتشافها.

٥. إن الرؤيا إذا عُرضت على المعبِّر التقيِّ العالم، فقد أصاب تعبير أكثرها على الأقل، إن لم يكن كلها.

٦. إن الخطأ في تعبير الرؤيا لا يقدح بالضرورة في علم المعبِّر وفضله – إن كان رجلًا مسلمًا تقيًّا مجتهدًا صاحب علم حقًّا –، بل قد تأتي المعاني في الرؤى متوارية أحيانًا، ومستترة أحيانًا، ومتعددة الاحتمالات الخفية أحيانًا، فلا يستطيع المعبِّر اكتشاف الخطأ إلا عند تحقُّق الرؤيا فعلًا، وذلك لحكمة إلهية.

٧. إن الخطأ في تعبير الرؤيا ليس حرامًا أو أمرًا يُعاقب عليه فاعله إذا كان مسلمًا عالمًا تقيًّا، بذل ما في وسعه وعلمه بإخلاص، وأخطأ دون قصد. أمَّا أن يكون الشخص جاهلًا أو فاسدًا، ويتطوَّع لتعبير رؤى الناس دون علم، فهذا بلا شك من الحرام الذي يعاقب عليه فاعله.

٨. جواز امتناع المعبِّر عن تعبير الرؤيا أو بعضها إذا علم فيها ما قد يؤذي المسلم أو يسبب له ضررًا نفسيًّا أو ماديًّا، ودون ضرورة إبداء أسباب هذا الامتناع، كما لم يشأ النبي ﷺ أن يبين للصدِّيق خطأه في تعبير الرؤيا.

٩. إن رموز الرؤى تكون في العادة من بيئة رائيها وما يعرفه ويألفه كالسمن والعسل والحبل، وبالتالي فعِلم المعبِّر ببيئة الرائي وأدواتها أمر مفيد في تعبير الرؤيا.

١٠. جواز عرض الرؤيا على أكثر من معبِّر، بشرط أن يكونوا جميعا من أهل العلم والثقة والتقوى، فقد عرض الرجل رؤياه على النبي ﷺ وعلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وكلاهما يعبِّر الرؤى.

١١. جواز اجتماع أكثر من معبِّر على تعبير رؤيا وتشاورهم فيها، وتصويب أو تخطئة أحدهم للآخر، بشرط أن يكون ذلك بعلم وفهم ودليل، وليس جدالًا عقيمًا.

١٢ . جواز أن يتقدم المسلم لتعبير رؤيا في حضرة من هو أعلم منه إذا كان يملك أدلة قوية يعتقد معها أن تعبيره للرؤيا سيكون صوابًا شافيًا حكيمًا، بشرط الاستئذان والتزام حدود الأدب.

١٣ . إن الرؤيا التي يقصُّها الرائي في كلمات بسيطة قليلة قد تتحقق بعد سنوات طويلة، بل وقد يمتد الزمان الذي تتحقق خلاله وقتًا طويلًا أيضًا.

١٤ . إن الرؤى في كثير من الأحيان تتناول الجوانب العامة والمهمة دون التركيز على ما دون ذلك من تفاصيل وأحداث جزئية تتخللها.

١٥ . إن ثقافة الاهتمام بالرؤى وتعبيرها كانت منتشرة في المجتمع المسلم على جميع المستويات ما بين عامة المسلمين وخاصَّتهم (الرجل صاحب الرؤيا، والنبي ﷺ، وأبو بكر [رضي الله عنه]).

١٦ . إن الرؤيا في كثير من الأحيان قد تكون لها جوانب تربوية وتعليمية مهمة يستفيد منها المسلم كما تبيَّن سابقًا مما أوضحناه من تعبير الرؤيا أن الإسلام دين ودولة، وإيمان وعمل.

١٧ . على الرغم من أهمية سؤال المعبِّر للرائي عن أحواله وظروفه حتى يتمكن من تعبير الرؤيا على أفضل ما يكون، إلا أنه في بعض الأحيان قد يتغاضى المعِّبر عن ذلك إذا كان المجتمع صغيرًا بسيطا يعرف الناس فيه بعضهم البعض جيدًا، ويختلطون ببعضهم كثيرًا، ويتآلفون على مبادئ مشتركة وأسلوب حياة متقارب.

١٨ . إن المسلم الصالح قد يرى في رؤياه ما يدل على هموم أو أحزان، ولكن كثيرًا ما لا تنتهي الرؤيا إلا ببشرى بانتهاء هذه الهموم والأحزان، أو كما جاء في الرؤيا: «...**ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ**».

من الأمور الملحوظة كذلك في تعبير هذه الرؤيا ما يسمى بالمنهج التفصيلي في تعبير الرؤيا. وهو أن يقوم المعبِّر بتعبيرها رمزًا رمزًا. فالظلة هي الإسلام، والسمن والعسل هما القرآن، وهكذا. وهذا عكس المنهج الإجمالي أو العام في تعبير الرؤيا. وهو تعبيرها بمعنى عام يجمع كل رموزها معًا دون تفصيل لمعاني كل رمز، كقول المعبِّر للرائي: رؤياك زوال هموم، أو فرج من كرب، أو نحو ذلك.

والله (تعالى) أعلم

انتهى الكتاب بحمد الله

الفهرس